

يعدّ التبليغ الديني من الشؤون الأساسية للحوزات، حيث نجد علماء كباراً كانوا في صفوف مبليغي الدين، ونهضوا بمسؤوليتهم في مجال التبليغ وإرشاد المجتمع.

وتتمتع الحوزات الشيعية بتاريخ مشرق على صعيد نشر المعارف الدينية في مختلف المجتمعات، لذا فهي تتميز عن حوزات المذاهب الإسلامية الأخرى:

(إن ارتقاء المنبر والتحدث في أمر الدين من أشرف الأعمال، ويجب على أشرف الناس وأعلمهم وأوعاهم بالقضايا الإسلامية، وأكثرهم عملاً بالأحكام الشرعية أن يسيروا في هذا الطريق ويعتبروه فخراً لهم، كما كان الأمر في السابق.

فمثلاً كان الشيخ جعفر الشوشتری العالم الأخلاقي الكبير صاحب منبر، وكان المرحوم الحاج السيد رضا الهمداني الواعظ . صاحب كتاب هدية النملة . واعظاً وخطيباً دينياً، وهكذا كان ابنه السيد ميرزا محمد الهمداني الذي كان من العلماء، وكذا أمثالهم.

ففي الماضي كانت الشخصيات العلمية والوجوه المعروفة بالتقوى والتدين متصفة بهذه الصفة، ومفتخرة بهذا الفن)([1]).

([1]) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدين والمبليغي عشية شهر محرم، بتاريخ 1370/4/20هـ.ش.

بدأ الدين الإسلامي المقدّس بالتبليغ، واعتاد في بسط نفوذه عامل الدعوة الذي مكّنه من الامتداد إلى أقصى مناطق العالم، فحصلت الكلمة الإلهية الطيبة والشرعية المحمّدية الخالدة على مؤمنين ومسلمين من شرق العالم إلى غربه، ومن جميع الأعراق والألوان والأقوام، حتى أورقت شجرة الدين المبين:

(إن الدين الإسلامي هو دين التبليغ، صحيح أننا في الدين الإسلامي المقدس لدينا جهاد من أجل تحقيق الأهداف الإلهية والإسلامية، إلا أن الأصل هو التبليغ والتبيين، فللجهاد فلسفة أخرى.

إنّ الجهاد لمواجهة الطغاة والظلمة وموانع التبليغ وانتشار نور الإسلام، ومتى ما غاب المانع أو وجد ولم يمكن الجهاد فإن السبيل الأساس للإسلام هو التبليغ، فلم يُقَصَّ التبليغ عن حياة المسلمين منذ ألف وأربعمائة عام.

لاحظوا أن التبليغ للإسلام عمّ آفاق العالم، وحالياً كلما اتجهتم نحو المناطق الواقعة شرق إيران تجدون أغلب المسلمين قد أسلموا بالموعة والتبليغ والدعوة قبل السيف.

ما الذي قاد إلى إسلام كل هؤلاء المسلمين في الصين؟

من الذي دعا سكان ماليزيا وأندونيسيا والفلبين والمناطق التي يقطنها المسلمون إلى الإسلام؟ أكان التهديد بالسيف؟

لو كان لسيف السلطان محمد الغزنوي من تأثير، فإن تأثيره تجلّى في تحريض الناس ضد الإسلام.

إن سيوف المغول في الهند وأكبر شاه وجهانگیر شاه وأورنك زيب وأمثالهم، وهم معروفون الآن يتفاخر بعض بهم، كان منشأ لظهور أعداء ألداء للمسلمين، ولقد أدّت سيوف المغوليين إلى ظهور السيخ في الهند، والسيف لا يجعل المرء مسلماً من أعماق قلبه، فمسلمو الهند لم يسلموا بالفتح الجهادي بل بالدعوة.

أنظروا ما يفعله الهنود عند قبر العرفاء الإيرانيين الذين كانوا في الهند، لأنهم من ثمار تبليغهم.

لقد نهض فرد عارف وعالم وواعظ روحاني، فرد مثلي ومثلكم، وتوجه إلى هناك، وكان فعله الوحيد أنه أعرض عن الأصدقاء والديار، ولم يخلد إلى الأرض، فجاهد نفسه، وذهب إلى منطقة في الهند وأقام فيها نحو أربعين أو خمسين عاماً، فأسلم عدد من الناس على يديه.

هكذا انتشر الإسلام يجلب بعضه بعضاً، فإذا أسلم فرد قاد إلى إسلام مئة آخرين([1]).

إن الجهاد التبليغي هو المسؤولية الدائمة للحوزات الدينية، ويجب على العلماء بصفاتهم رافعي راية الدين أن يحملوا على عاتقهم راية الدعوة إلى الدين في الداخل والخارج، وأن يبذلوا قصارى جهدهم في التبليغ للدين عبر تبين المبادئ والقيم الإسلامية وتثبيتها والدفاع عنها.

وهذا تكليف مستمر يتأكد في الظروف الراهنة، فقد اتسعت دائرة الاحتياجات والتساؤلات والإشكالات، واشتد الظمأ إلى منهل الإسلام العذب، وازدادت الآذان شوقاً لسماع تعاليمه. فالتوسع مساحة المخاطبين رسّخت مسؤولية الدعاة المبلّغين في الوقت الحاضر، وجعلتهم مسؤولين عن حال الناس المتعطشين للمعارف الدينية:

(ألا يجب في الظروف الراهنة على الحوزة العلمية في قم أولاً، وبعدها بقية الحوزات العلمية . حيث الأرضية مهياة لتبليغ الإسلام وصوتنا يصل إلى أقصى نقاط العالم . أن يتسع عملنا التبليغي أكثر من السابق؟

فثمة فرق بين اليوم الذي كانت فيه دائرتنا التبليغية عبارة عن جلسة تضمّ خمسين أو مئة أو خمسمائة شخص في أبعد الحدود، وتنعقد في مسجد ويتحدث فيها عالم بصفته إمام جماعة أو خطيب، وبين يومنا الحاضر حيث ينتظر الناس نشاطنا التبليغي في كل نواحي البلد والمجتمع.

كم يوجد من الشباب المتهلفين لمعرفة شيء عن الدين؟ كم من الأفراد المتعلمين وذوي الفهم الذي كانوا حتى الأمس منفصلين عملياً عن الدين والمعرفة الدينية، لكن الحكومة حشمتهم اليوم على فهم الدين والاتجاه إليه؟ هؤلاء يرغبون في أن يفهموا شيئاً عن الدين([2]).

من جهة أخرى، فإن عصرنا يشهد هجوماً إعلامياً قوياً على الإسلام والأفكار الشيعية النقية، ولعلنا لا نجد حقبة في تاريخ المسلمين تماثل هذه الحقبة، حيث ضغوط وقدرات الثقافات المنافسة والمعادية

متوجهة إلى الفكر الإسلامي من كل جانب وبأساليب مختلفة، وهذا يعكس أهمية الدعوة ويعمّق الحاجة لنشاط المبلّغين:

(ليست قيمة بعض الأشياء مطلقة ومتساوية في كل مكان، فمثلاً إن الماء الزلال الذي هو أساس الحياة الإنسانية، له قيمة وسط الصحراء، وقيمة أخرى قرب النهر، وكذلك التبليغ فعندما تقل الحاجة أو حينما يزداد عدد المبلّغين، فإن قيمته لا تكون كبيرة، إلا أنها تزداد إذا ازدادت الحاجة إلى التبليغ وانخفض عدد المبلّغين.

ربّما يمكن القول: إننا نعيش في زمن تزداد فيه الحاجة إلى التبليغ، لأن الإعلام المضاد للدين والإسلام والذي تتحكّم فيه القدرات العالمية، وتوظف فيه أحدث الأساليب والطرق. قد بلغ أقصاه) [3].

[1] من خطاب لسماحته خلال لقائه بالمسؤولين في منظمة الاعلام الاسلامي، بتاريخ: 1372/2/6هـ.ش.

[2] من خطاب لسماحته خلال لقائه المبلّغين في منظمة الاعلام الاسلامي، بتاريخ: 1372/11/4هـ.ش.

[3] من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء أهل السنة في بندر تركمن، بتاريخ : 1363/2/18هـ.ش.

إن الكيان الثقافي الإسلامي معرّض لمخاطر معقّدة وجديّة، وفي المواجهة الراهنة سيتحدد إمّا البقاء بعزّ، أو العيش على هامش الثقافات العالمية المنسوخة، وفي هذا السجال ستقرر رفعة الإسلام والمسلمين، أو ديمومة الذلّ والانحطاط، فاليوم تتجلى الحرب الصليبية الجديدة في الميدان الثقافي فيما تظهر الأحقاد الصليبية الدفينة وكأنها تقيّحات الجروح.

الإمام الخامنئي من الرّوَاد الذين التفتوا إلى هذه المخاطر، وحذّر من أبعادها مشدّداً على ضرورة مقاومتها، وقد تحدّث سماحته عام 1984م لدى لقائه علماء أهل السنة في "بندر تركمن" عن هذه المعضلة قائلاً:

(إحدى وظائفكم الأساسية أيها السادة، باعتباركم علماء دين، إعداد علماء دين مطلّعين وواعين، قوموا بدعم المدارس الدينية، وزودوا طلابكم بالمعلومات الإسلامية القادرة على إقناع عقول الشباب، فجميع أعدائنا يستخدمون الثروات الطائلة والتجارب الكثيرة والعقول القوية لكتابة آلاف الكتب والمقالات، علاوة على ما كتبوه حتى الآن من أجل إلقاء الشبهة حول الفكر الإسلامي لزعزعة إيمان الناس، وسيشون آلاف الشبهات بينهم لتشويش أذهانهم.

ترى من الذي يجب عليه أن يحفظ إيمان الناس ويُسلّح أذهانهم في خضم مواجهة هذا الغزو الثقافي؟ إنها وظيفة العلماء(1).

ليس هذا الخطاب أول خطاب لسماحته بهذا الصدد، ولا الأخير، فسماعته ما انفك طوال العقدين الأخيرين يتحدّث عن حرب وصراع بين الإسلام والغرب في الميدان الثقافي، ويسلط الضوء على أخطار الغزو الثقافي للقوى الاستكبارية لافتاً نظر أهل الثقافة إلى هذا الخطر العظيم.

وفي خطاب آخر في السنة نفسها، قال سماحته:

(إن لم نقاوم الغزو الثقافي والعقائدي للاستكبار العالمي، فسنهزم قطعاً)(2).

وللأسف لم تدرك أبعاد المأساة كما يجب بالرغم من التحذيرات والإشارات المتكرّرة، ولم يتم التعامل معها بشكل جاد، واجه هذا التعامل أحياناً التشكيكات والعراقيل، وجرى الحديث عن التبادل الثقافي وتأكيد ضرورة الحوار والتعامل، وفي هذه الأجواء الصاخبة غفلنا عن المهاجم المتربص بنا الدوائر، فظلّت مواقع المهاجم الثقافي مستورة، ويبدو أن الإقرار بوجود هجوم ثقافي سيتم بعد أن نجد أضراره قد لحقت بجميع أركان كياننا.

وقد حذر سماحته مراراً أصحاب الفهم المعوج، كما في النص الآتي:

(علينا وجميع المتصدين للشأن الثقافي في البلد، أن نعتقد بأننا مستهدفون ثقافياً من قبل أعدائنا)([3]).

إن الغزو الثقافي المعادي يشدد على قضية أن الشباب لا يؤمنون بالدين والنظام، فهو يحشد كل قواه في سبيل إضعاف الأصول والعقائد الدينية لهذا الجيل واستلاب هويته الدينية والتاريخية:

(وإن الغزو الثقافي يهدف إلى استلاب الجيل الجديد عقائدياً، إنه يرمي إلى إقصاء العقيدة الدينية وتغييب الأصول الثورية والفكر الفعال الذي يخشاه الاستكبار حالياً، والذي بات يعرض نفوذ القوى الاستكبارية للخطر)([4]).

وأضاف سماحته: (يسعى العدو في غزوه الثقافي إلى بث شيء من ثقافته لهذا الشعب، ليثقفه على ما يريده ومعلوم ما يريده العدو)([5]).

تسعى الثقافة الغازية في دفع المجتمع إلى الرذيلة وإلهائه بالأمور التافهة، وتصنع عوالم وهمية لتغرق أفراد المجتمع في مظاهرها الخادعة، وتغذي نزعة الإخلاق إلى الراحة والافتتان بالجسد، وتفتح أبواب الفساد أمام الجيل الجديد مستترة بآلاف الأقنعة والحيل لتوقع الأفواج في شباكه:

(يسعى العدو من خلال نشر الثقافة الخاطئة ثقافة الفساد والفحشاء إلى أن يسلب شبابنا منا، وليس ما يفعله مع شبابنا على الصعيد الثقافي هجوماً ثقافياً، إنما هو غارة ونهب وقتل جماعي ثقافي، هذا ما يفعله العدو معنا اليوم)([6]).

الغارة الثقافية تحدث بلا ضجيج، ولا تبدأ بقرع الطبول ولا تكشف القوى المهاجمة عن وجهها الإجرامي، إنما تتقدم بظاهر وديع وسلوك مؤدب وخطوات متأنية لتفتح جبهة الطرف الآخر بالكلمة والابتسامة، وليس بالصخب والعنف:

(في الوقت الحاضر تتحرك لحربنا جبهة ثقافية عظيمة كالسيل، وهي مدعومة بالسياسة والصناعة والمال وغير ذلك، والحرب ليست حرباً عسكرية، فلا يمكن الاستفادة من التعبئة العامة هنا، ومن خصائص آثارها أننا لا نعيها إلا بعد أن نقع في أسرها، فهي كالقنبلة الكيماوية لا صوت لها فلا نحس بها، فإذا سقطت قنبلة كيماوية في منطقة معينة قد لا يحس بها أحد، ولكن بعد سبع أو ثمان ساعات ستحترق الوجوه والأيدي).

وستشاهدون فجأة مؤشرات هذا الهجوم الإعلامي والثقافي في المدارس والشوارع والجبهات والحوزات العلمية والجامعات، والآن تلاحظون شيئاً منه وسيزداد فيما بعد، ويتم إعداد أرضية لمثل هذا الهجوم عبر طبع الكتب وإنتاج أفلام الفيديو وتوزيعها داخل البلاد.

إن الهجوم بهذه الأبعاد يستهدف الإسلام والثورة ويستهدفنا([7]).

تتحرك الغارة الثقافية بهدوء كالريح المعتدلة لكنّها مسمومة، وهي لا تعترف بالحدود الجغرافية، وتجتازها لتضطرم مباشرة مع الأفراد فتسلخ هويتهم، وترزع في أوصالهم أفكار الثقافة الأجنبية وأهواءها.

(الهجوم الثقافي مثل العمل الثقافي نفسه هادئ وبلا ضجيج)([8]).

ولا ينفع الصخب والضجيج في مواجهة الهجوم الثقافي، فإشهار السلاح والصراخ يدلّان على السفاهة والبلاهة، والغضب وانتفاخ أوداج العنف يكشفان عن الضعف والذلة.

في مواجهة الغارة الثقافية لابد من اعتماد سلاح مماثل، فالثقافة الأصلية تفضح مساوئ الثقافة المزيفة، كما أن الأموال المزوّرة يكشف زيفها لدى مقارنتها بالأموال الخالصة، وتظهر السجون الذهبية الدنيوية على حقيقتها، وتنكشف ضعفتها ودناءتها في النظرة السماوية الجميلة:

(يمكن مواجهة الحرب الثقافية بالمعاملة بالمثل، والردّ على النشاط والهجوم الثقافي لا يتحقق بالبندقية، فالقلم هو البندقية هنا)([9]).

[1] من خطاب لسماحته خلال لقائه العاملين في الحقل الاعلامي ورؤساء المناطق في وزارة التربية والتعليم، بتاريخ: 1371/5/21هـ.ش.

[2] من خطاب لسماحته خلال لقائه المسؤولين عن التثقيف العقائدي . السياسي في حرس الثورة الإسلامية، بتاريخ: 1363/3/3هـ.ش.

[3] من خطاب لسماحته خلال لقائه بأعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافية، بتاريخ : 1368/9/21هـ.ش، راجع حديث الولاية (مجموعة إرشادات سماحة القائد) ج3:ص 44.

[4] من خطاب لسماحته خلال لقائه العاملين في الحقل الاعلامي ورؤساء المناطق في وزارة التربية والتعليم بتاريخ : 1370/10/25هـ.ش.

[5] المصدر السابق.

[6] من خطاب لسماحته خلال لقائه بقيادة السرايا في قوات التعبئة، بتاريخ: 1371/4/22هـ.ش.

[7] من خطاب لسماحته خلال لقائه ممثلي الفضلاء والطلبة في الحوزة العلمية في قم بتاريخ: 1368/9/7هـ.ش.

[8] من خطاب لسماحته خلال لقائه العاملين في الحقل الاعلامي ورؤساء المناطق في وزارة التربية والتعليم، بتاريخ: 1371/5/21هـ.ش.

[9] من خطاب لسماحته خلال لقائه ممثلي الأفاضل والطلبة في الحوزة العلمية في قم، بتاريخ: 1368/9/7هـ، ش، راجع: حديث الولاية (مجموعة إرشادات سماحة القائد) ج3:ص 40. 44.

لم تُلقَ على عاتق العلماء الشيعة مسؤولية التبليغ في أي زمان آخر كما هي حالياً، فالأخطار التي ذكرت سابقاً تقع أمام أنظار العلماء، الأمر الذي يستدعي سعيّاً أكبر وتخطيطاً أدقّ وأشدّ فاعلية، فالعلماء . باعتبارهم قادة الثقافة الدينية . مطلوب منهم اتخاذ موقف صلب وبذل مساع حثيثة حيال الهجوم الثقافي، وتقديم نتاج فكري والقيام بتوعية مناسبة وشاملة:

(ثمة هجوم ثقافي عظيم على الإسلام وليس له اتصال وثيق بالثورة، فهذا الهجوم أوسع من الثورة وضد الإسلام، إنه أمر عجيب واستثنائي أن يكون ضد الإسلام بجميع الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية، وحتى الإسلام بمعنى اعتقاد عوام الناس فإنه معرّض للهجوم، ناهيك عن الإسلام الثوري النزيه.

منذ القدم كان لديهم هذا الإحساس حيال الإسلام، وهذا ناشئ عما شاهدوه من الإسلام.

بعد أن مضت مدةً على قضية تحريم التبغ وقضايا مختلفة في الهند وأفغانستان وإيران ومصر وبقية البلدان، غفل الاستكبار والاستعمار العالمي عن قدرة الإسلام وتراجع توجّسه منه، والسبب يكمن في أن التحرك الإسلامي لم يكن بارزاً، وأنهم غفلوا بعض الشيء.

وبعد عدّة عقود انتصرت ثورتنا، فأعيد طرح المعلومات والمعارف الاستعمارية والملفات الأرشيفية، وانطلقت جهود تحقيقية جديدة، وانهقدت الندوات والجلسات في الغرب الرأسمالي والاستكباري، وظهرت نظريات متعدّدة حول إعادة النظر في فهم الإسلام.

يوظّف الاستكبار كل طاقاته لإدارة وضعه بمنهجية علمية ويضبط تحركاته بالفكر، ويستبق الأحداث العالمية ليظل حاضراً في موقعه، لأنه يعلم أن أضراراً ستلحق به إذا أقصى الفكر ولم يخطّط للمستقبل وفقد المعلومات والأرقام.

فالاستكبار يمتلك أرقى وأفضل المؤسسات الفكرية، وهي تفكّر وتخطط مسبقاً للقضايا الرأسمالية بعيدة المدى لتحقيق أهدافها بعد خمسة عشر أو عشرين عاماً.

لقد أحاطت الثورة الإسلامية وبصورة مفاجئة الوجود الغربي والعالم الرأسمالي ومنظومتها القيمة بمجموعة من التشكيكات، بمعنى أنها هدّدت مستقبلها وأحاطته بالغموض، لأن الثورة قامت على أساس الإسلام، ومن ثم يمكن أن تتحقق هذه الثورة في كل مكان للمسلمين، علاوة على أنهم شاهدوا نماذج ذلك).

إن هذه الرؤية تكشف بوضوح الخلفيات المنطقية والتاريخية للهجمة الغربية على الثقافة الإسلامية، فقد انطلقت القوى الغربية من المبادئ المذكورة في هجومها الشامل ومن كل اتجاه، وإزاء هذا الهجوم ينبغي لمبليغي الدين أن يهيئوا طرق الدفاع ويحرسوا المجتمع ويحفظوا ثقافتنا:

(لاشك في أن الوقوف بوجه هذا الهجوم يقتضي ميزانية مالية وإمكانيات ودعم سياسي من الحكومة، لكن لماذا تهيب الحكومة الأموال وتقدم الدعم؟ من الطبيعي لكي تتوفر على الفكر.

ومن أين يتولّد الفكر؟ من الحكومة أم من الحوزة؟)([1]).

تتطلب الظروف الخاضعة للغارة الثقافية للأعداء نفيراً عاماً وجاداً من جانب المؤسسة التبليغية للحوزة، لتكون كالجبل الراسخ أمام السيل العارم في دفاعها عن كيان ديانة الشعب وإيمانه، هذا الأمر يمثل جانباً من مسؤولية مبليغي الدين، وهناك موضوع آخر يضاف إلى الحقيقة السابقة وهو الفرصة التبليغية المتوافرة لعلماء الدين.

فمما لا ريب فيه أن علماء الدين لم تتوافر لهم . على مدى تاريخهم . ظروف مناسبة للتبليغ الديني كما هي الآن، كما لم تنهيا لهم أبداً الإمكانيات والدعم والوسائل والآذان الصاغية والقلوب المشتاقة كما هو الوضع حالياً:

(طوال التاريخ الإسلامي ذي الأربعة عشر قرناً، لم توجد حقبة توافرت خلالها لعلماء الدين فرصة لتبليغ الأحكام الإسلامي، لا في عصر الأئمة عليهم السلام ولا بعده، ولا في عهد الحكومات المؤيدة

للفقه الحنفي والشافعي في إيران، ولا في أيام الملوك المؤيدين للفقه الجعفري في بلدنا، لم يجد العلماء في جميع العصور مثل الفرصة الموجودة اليوم»([2]).

وفي نص آخر لسماحة القائد أكد على هذه النعمة الإلهية بقوله:

(إخوتي الأعزاء، ثمة فرصة عظيمة أمام العلماء فلم تتوافر طوال التاريخ بعد عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حتى اليوم مثل هذه الفرصة المتوافرة لدعاة الدين، فمتى وجد دعاة الدين مثل هذه الفرصة)([3]).

إن الفرصة والنعمة المتوافرتين ترسخان تكليف مبلّغي الدين، وتقتضيان الاستفادة من كل آن ولحظة، والحضور الواسع في الميادين المختلفة، والتخطيط الدقيق للتبليغ:

(إنها فرصة عظيمة وعزيزة، ويجب علينا اليوم باعتبارنا مبلّغين للدين أن نؤدي دوراً فاعلاً وخالداً، وسيحاسبنا الله تعالى على ذلك، إنها وظيفتنا وعلينا أن نعدّ أنفسنا)([4]).

فالفرصة المتوافرة للتبليغ تمثّل امتحاناً إلهياً للعلماء، فإن جدارتهم وكفاءتهم باتت على المحك في هذه المرحلة من التاريخ، وسينظر الجيل القادم إلى هذه الصفحة من التاريخ وسيصدر حكمه بشأن هذه الفرصة الذهبية المتاحة للحوزة والعلماء، والله تعالى يرى اليوم عمل العلماء، فإذا استفادوا من الفرصة الموجودة فسيعينهم بفرص مضاعفة، وإذا فرطوا. لا سمح الله. بها فإنه تعالى سيحرمهم الفرصة الموجودة والفرص المقبلة:

(تقف الأوساط العلمية الشيعية والحوزة العلمية وعلماء الدين الشيعة أمام امتحان تاريخي عظيم لا مثيل له ولا يمكن تكراره وليس له شبيه في الماضي، وهذه هي النعمة التي تجسّد مصداقاً للآية القرآنية الشريفة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾([5]))([6]).

إن العلماء الذي يبلّغون الدين يؤدون المهمة السامية للأنبياء ومن بينهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأداء حق هذه المهمة لا يأتي عبثاً ولا يتحقق بسهولة، إنما يتطلب استعداداً، وحتى الأمس القريب كانت تلقى بعض المعاذير بسبب العراقيل والعقبات التي يولّدها قمع الجائرين وقهرهم، لكن اليوم ارتفعت تلك المعاذير ولم يعد لها مسوغ، فاليوم فتحت أبواب المراكز التربوية والعسكرية والنظامية والإدارية والمعتقلات و... أمام المبلّغين:

(أيها السادة العلماء الشيعة وسنة، يجب علينا نحن العلماء اليوم أن نبرهن على قدرتنا على نشر الدين، فالتبليغ ليس قضية ولا هي بالهزل، ليدّعي أياً كان أنه داع للدين ومبلّغ وحامل ومفسّر له، فهذا الأمر يسير في الكلام لكنه صعب عسير في العمل.

من ألف عام ولعلماء الشيعة فقه مدوّن منظّم واستدلالي، والآن هو وقت النهوض بهذه الوظيفة إذا كنّا حقاً من رجالها وأهلاً لها وصادقين في حملها، لماذا؟ لأننا لم نمتلك في الماضي الميدان والمجال الكافيين للتحرك.

لقد سافرت في عهد الطاغوت إلى أغلب بلاد خراسان وكثير من بلاد إيران، وقد اتصلت بالعلماء في كل مكان زرتهم، أي أنني التقيت علماء كل مدينة ذهبت إليها وتعرّفت بهم، سواء كانت زيارتي لارتقاء المنبر أو لأمر غيره، وأنا أعرف أغلب العلماء المعروفين في عصرنا في أنحاء بلاد إيران كافة. كان هناك علماء وأفاضل لكن لم يكن لديهم تحرّك(7).

النشاط والدافع التبليغي

يجب على المبلّغ الديني أن يعتبر إرشاد المجتمع تكليفاً إلهياً له، وأن يتحمل المشاق ولا يخشى ضالة الإمكانيات، وأن يؤدي مسؤوليته بكامل قدراته.

ولا ينبغي للطلبة اعتبار الظروف المؤاتية شرطاً للانطلاق في التبليغ، فإن هذا الأمر لا ينسجم مع التكليف والشوق والرغبة، ولا يتناسب مع السنته التاريخية للتبليغ الحوزوي، فالحوزة أدت تكليفها في إرشاد الناس والإصلاح الديني في ظروف صعبة دائماً لكن ذلك لم يشنها عن المضي في مهمتها:

(كنا في السابق نرتقي المنبر بصعوبة ومشقة في مشهد، فمثلاً حوّل أحد الكسبة بفضل الله متجراً إلى مسجد فاتخذناه مسجداً لنا، هذا المتجر الصغير صار محوراً ومركزاً للتبليغ المذهبي ولكل الأفكار الجديدة في مشهد، فيمكن القيام بمثل هذه الأعمال، لتتوجه ونستند قليلاً إلى المعنويات، إلى أنفسنا، إلى استعداداتنا الذاتية وإلى الأمور التي في داخلنا لنفجر طاقاتنا الكامنة)([8]).

يجب أن لا يأخذ تبليغ العلماء مواصفات وأطر الوظيفة الإدارية، فلا يتم إلا بقرار يتسلسل نازلاً من عدد من المواقع الإدارية، فلا بد للتبليغ الديني أن ينطلق من الشعور بالمسؤولية، فالمبلغ المخلص يتنازل عن كثير من حقوقه وحاجاته ويقدم وجوده على طبق الإخلاص لله تعالى في تجارة مربحة، وهو ينفق عمره في خدمة التبليغ:

(إن دافعنا الدائم . نحن الطلبة . هو السعي لأداء التكليف، فعالم الطلبة يختلف عن شكل الأجهزة الإدارية ومحتواها وآلياتها.

فتارة قد يستخدم المرء لطهي طعام في وليمة، ومن الطبيعي أن يطالب بكمية كبيرة من الزيت واللحم ونوعية مفضلة من الرز وقائمة طويلة بمواد أخرى، ومعلوم أن عدم تلبية طلباته سيعرقل عمله ومن ثم لن يقوم بالمطلوب.

وتارة قد تكونون بين جماعة مثل أفراد الأسرة أو أصدقائكم، والمثال البارز العام هو جبهة الحرب، فافترضوا مثلاً أن زملاءكم شعروا بالجوع وكنتم في منطقة نائية، وأنتم تجدون الطهي، ففي هذا الحال تتلاشى القيود والشروط، وتندفعون بمحض إرادتكم ورغبتكم وبكل قوتكم وقدرتكم لإعداد الطعام، وأحياناً يكون هذا الطعام ألدّ من غيره، لأنه ثمرة الرغبة الصادقة والمحبة وحس المسؤولية.

نحن الطلبة كان علمنا هكذا منذ البداية، فعندما كنا نذهب للخطابة في مكان ما، كان ذهابنا أحياناً بناءً على دعوة وجهت إلينا، وأحياناً دون أية دعوة، وهذا هو الغالب، فكانت غايتنا توصيل الموضوع الذي طالعناه وأعددناه إلى الناس([9]).

حقيقة التبليغ الديني

ثمة فاصل كبير بين التبليغ المتداول في العالم، فالتبليغ في الثقافة والسياسة والاقتصاد على المستوى العالمي يعني تحجيم الحقيقة، وأحياناً تغييب بعضها وإظهار بعضها الآخر، وفي بعض الموارد تشويه الحقائق وتزييفها؛ لذلك فإن التبليغ الديني يختلف كثيراً عن هذه الأمور، فالدعوة المطلوبة لا تضع مساحيق التجميل على صورة الدين، وإنما تعرضها بجمالها الطبيعي:

(التبليغ الديني لا يجزئ الحقيقة، وإنما يكشفها كاملة ولو لم يستسيغها المخاطب، التبليغ الديني يبين الحقيقة كما هي دون زيادة أو نقصان، وبعيداً عن الأهواء والرغبات.

وبكلمة أخرى: إن المبلِّغ الديني يؤدي الشهادة مثل الشاهد الصادق، فيكشف عن الحقيقة ويضعها أمام الأنظار.

التبليغ في الاصطلاح المعاصر يعني استقطاب اهتمام الناس نحو شيء معين دون الأخذ بالاعتبار ما يحمله هذا الشيء من الحقيقة.

والتبليغ في اصطلاحنا هو التبليغ القرآني، يعني توصيل الحقيقة إلى أذهان الناس وإخراجهم من الجهل، ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده، فمن الظلم أن المرء لا يؤدي الشهادة التي يمتلكها([10]).

وقال سماحته في خطاب آخر: (إن التبليغ والإعلام في العرف العامي عبارة عن جذب الأنظار نحو شيء ما، هذا هو مفهوم الإعلام في عالم اليوم، أي تصوير شيء غير موجود على أنه موجود، أو تضخيم الموجود مئات وآلاف أضعاف حقيقته وعرضه بشكل مزيف.

لكن ماهية عملنا غير ذلك، فنحن لدينا حقيقة وضّاءة اسمها التوحيد والإسلام، وقد حجبتهما سُحب الجهل والعداء، والتبليغ يعني توصيل تلك الحقيقة إلى أذهان الناس وعقولهم) ([11]).

[1] من خطاب لسماحته خلال لقائه ممثلي الأفاضل والطلبة في الحوزة العلمية في قم بتاريخ: 1368/9/7 هـ.ش، راجع: حديثه الولاية (مجموعة إرشادات سماحة القائد) ج 3: ص 40. 44.

[2] من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدين في دامغان، بتاريخ: 1367/4/15 هـ.ش.

[3] من خطاب لسماحته خلال لقائه بعلماء الدين والوعاظ عشية شهر رمضان، بتاريخ: 1369/12/22 هـ.ش.

[4] المصدر السابق.

[5] سورة ابراهيم: الآية 7.

[6] من خطاب لسماحته خلال لقائه الدين في دامغان، بتاريخ: 1368/4/15 هـ.ش.

[7] من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدين في بيرجند بتاريخ 1366/1/3 هـ.ش.

[8] من خطاب لسماحته خلال لقائه المسؤولين في منظمة الإعلام الاسلامي، بتاريخ: 1372/2/6 هـ.ش.

[9] من خطاب لسماحته خلال لقائه مسؤولي منظمة الاعلام الإسلامي، بتاريخ: 1370/12/5 هـ.ش.

([10]) من خطاب لسماحته خلال لقائه مبلغى الحزب الجمهورى الإسلامى بتاريخ:
1361/4/1هـ.ش.

([11]) من خطاب لسماحته خلال لقائه أعضاء المكتب الإعلامى الإسلامى فى الحوزة العلمية فى
قم، بتاريخ: 1361/1/11هـ.ش.

على المبلّغ الدينى أن يتحلّى بالفضائل ليكون بمقدوره القيام بوظيفة الأنبياء، فيجتذب القلوب ببيانه،
ويحرّك النفوس، ويقود المجتمع نحو الصلاح.

ومن الشرائط المطلوبة فى المبلّغ:

1. التزكية والتهذيب:

على المبلّغ أن يتّصف بالفضائل ومكارم الأخلاق، وأن تصدق أفعاله وأقواله.

فالمخاطب يأخذ بالاعتبار شخصية المبلّغ، ويراقب بدقة أفعاله وسلوكياته، ويتمعّن بعمق فى أبعاده
النفسية، فيهتم بأقواله بالمقدار الذى يثق فيه بشخصيته، ويكنّ احتراماً له بالشكل الذى يتناسب مع
حجم نفوذه فى روحه:

(إذا لم يهذب المبلّغ نفسه ويصلحها لم يقدر على إصلاح غيره، وإن لم يؤمن المرء بما يقول ويعمل
به صادقاً، فإن أقواله لا تؤثر فى الآخرين.

تذكرون فى أيام الثورة كيف كانت التصريحات والخطابات المتصلة بالثورة تصل إلى أعماق النفوس،
ترى ما هو السبب؟ السبب يكمن فى أن الذين أطلقوا تلك التصريحات، أطلقوها من أعماق قلوبهم
وإيمان كامل بها، وكانوا عاملين بها.

كانوا إذا طلبوا من الناس أن يقولوا شيئاً سبقوهم إلى قوله، وإذا دعوا الناس إلى الالتحاق بالجبهات سبقوهم باللاحاق بها، كانت أقوالهم نابعة من القلب ولا جرم أنها تستقر في القلب وتؤثر فيه.

كانت الأقوال والتصريحات كثيرة، لكن الذي أثر منها في القلب وترسخ فيه هو ما كان مطلقه معتقداً وعاملاً به ([1]).

2. الإخلاص:

يفتح المبلّغ بخلوص نيته آفاقاً رحبة لنشاطه، ويوجد لسعيه أبعاداً لم تكن في الحسبان، إذ يتميز التبليغ الديني عن غيره من أنواع التبليغ المعروفة في أن التبليغ الديني والمادي يرتبط بالعلم والتقنية وحسب، فتلعب المهارات التبليغية والفنون المختلفة دوراً أساسياً، وتضمن معطيات العلوم كعلم النفس وعلم الاجتماع و... للخطاب التبليغي امتداداته.

في هذا النوع من التبليغ لا تظهر نية الفاعل بوضوح، بينما تقوم النية الخالصة بدور جليّ في التبليغ الديني لأنه في سبيل دين الله إذ ينزل العون والعناية الإلهية على المبلّغ الديني الذي يتحرك في أوساط المجتمع لدعوته وهدايته.

فالإخلاص في النية يفضي إلى أن تقوم جميع القوى المسخرة للإرادة الإلهية في خدمة المبلّغ، فتتسع مساحات جديدة لتحركه، وتلين القلوب وتنقاد النفوس لمبادئه وخطاباته، وتنسجم أفواج كثيرة من الناس مع أهداف ودعوته.

ويعتبر الإمام الخميني "رضوان الله عليه" أروع مصداق معاصر لهذه المقولة، فقد استطاع هذا العظيم وفي ظلّ النية الصافية والإخلاص الشديد أن يستقطب القلوب بشكل لا نجد له مثيلاً في التاريخ المعاصر.

وقد أشار سماحة الإمام الخامنئي إلى هذه الحقيقة الكبيرة بقوله:

(ومن دون الإخلاص لا يستقر أي عمل، في اليوم الثالث أو السابع من وفاة الإمام الخميني (قدس سره)، وربّما في أربعينته أيضاً، ذهبت بالطائرة المروحية إلى مرقد "رضوان الله عليه" حيث كان في منطقة جرداء نائية، فرأيت من الجو، فجأة وسط تلك المنطقة قبة وبناء والناس يطوفون حوله كالجراد.

وقد أثر هذا المشهد كثيراً في نفسي وقلت: إلهي، ما أسرع ما كافأت هذا الإخلاص، وسرّ هذا الاستقطاب المغناطيسي لإخلاص الإمام (قدس سره)، فحقاً لا يمكن إنجاز أي عمل دون الإخلاص).

3. المعلومات اللازمة:

من النقاط الأخرى التي يجدر بالمبلّغ أن يتصف بها قبل حضوره التبليغي في أوساط المجتمع العلم المتناسب مع المستوى التبليغي.

فالمجتمع يتوقع من المبلّغ أن يتمتع بمعلومات ووعي ينسجم مع مستواه التبليغي، ليجيب عن أسئلة مخاطبيه ويتمكّن من إقناعهم وإثرائهم.

ولا يحرز المبلّغ الأمّي أو صاحب المستوى المتدنّي مركزاً مرموقاً على المدى الطويل في المجتمع الذي يخاطبه ولو كان ماهراً في فنون التبليغ، فالناس وبخاصة في وقتنا الحاضر . الذي يمتاز بارتفاع مستوى الوعي . يكتشفون خواءه العلمي، ومن ثم لا يعيرون اهتماماً لكلامه ولا لشخصيته.

وعليه، يجدر بالمبلّغ الديني أن يكون عالماً وأن يحمل معلومات تتناسب مع مستواه التبليغي (ابتدائية، ثانوية، جامعة، مراكز شعبية، مقرّات عسكرية و...) ثم ينطلق للتبليغ:

(على المبلّغ أن يتوفر على وعي وأفق ديني رحب ومتنوّع، وأن يأنس بالقرآن، ويتمعّن بعمق بالأحاديث، ويطلع على الأفكار الجديدة المتصلة بالمذهب والدين، ويكون من أهل البحث في القضايا والأفكار الدينية، وأن لا يقتصر على معرفة الدين فقط، بل يطلّع إلى جوار ذلك على بعض الأفكار الفلسفية والرؤى الاجتماعية) ([2]).

4. الزهد ومعايشة الناس:

على المبلّغ الديني أن يعيش في أوساط الناس . كما فعل الأنبياء عليهم السلام . ومثلهم , ويتجنّب حياة الترف والبذخ بل يعيش حياة بسيطة لا تختلف عن مستوى حياة مخاطبيه , فإن المبلّغ المترف تواجهه مردودات سلبية تصل إلى نتائج معكوسة , تجعل المجتمع يبتعد عن التدين والمتدينين , وتجّره إلى الاستهزاء بالدين .

وتجربة الغرب شاهد على ذلك , إذ كانت حياة زعماء الكنيسة حياة بذخ وترف , فحدثت فجوة بينهم وبين الناس العاديين , ثم اتسعت تدريجياً لتتهدّد جسور الثقة بين المجتمع الغربي وبين الكنيسة ومبلّغي الديانة المسيحية , ثم تحوّل المجتمع الغربي المتدين في القرون الوسطى إلى مجتمع علماني بعيد عن الدين .

يذكر أن المبلّغين المسيحيين في الغرب كانوا يعيشون في المنطقة التي يسكنها الوجهاء , بل إن القسيس كان يعتبر من طبقة أشراف القرية , والأسقف من طبقة نبلاء المنطقة , والكاردينال من أعيان البلد .

ولقد تحقّق للمبلّغين الشيعة نفوذهم في ظلّ قربهم من الناس وزهدهم ; إذ عاشوا في القرى والمدن حياة لا تختلف عن حياة الناس وشاركوهم آلامهم وآمالهم , بل اقتربوا من الناس حتى كأنهم صاروا أعضاء في أسرهم .

فيجب الإبقاء على هذه الخصيصة , فلا يمكن لمبلّغي الدين أن يؤثروا في الناس إلّا إذا تحدّثوا بلسانهم وإلى جانبهم , أمّا مخاطبة الناس من البروج العاجية فإنه لا يؤثر في القلوب , بل تكون له نتائج معكوسة وتدرّجاً ينشأ جداراً حديدياً حول القلوب ليحرمها من الاستماع إلى الخطاب الديني :

(يجب على المبلّغين الذين نرسلهم إلى هذه المنطقة أو تلك أن يعيشوا مثل الناس وفي مستواهم , يعني إذا أرسلنا مبلّغاً فدخل المدينة الصغيرة بالطائرة المروحية فجأة لكي يلقي خطاباً فهذا لن تكون له

فائدة, فهذا العالم الذي يدخل المدينة بالمروحية من هم مخاطبوه؟ وكيف يريد أن يتحدث؟ وأي إيمان واطمئنان سيوجده في الناس؟ تارة يفعل ذلك أحد المسؤولين لوجود خطر يهدده، وتارة يكون ذلك لضيق الوقت المناسب، وتارة لأسباب أخرى, وهذا يختلف باختلاف الظروف.

ولكن نجد أحياناً عالماً يستقل سيارة فاخرة تنقله إلى المدينة التي يريد أن يلقي خطابه فيها، وعندما يهّم بالنزول يفتح له السائق باب السيارة! وللأسف تعود الحرس أيضاً على هذه الممارسة، ما هي الضرورة لكل هذا؟ هذه ممارسات خاطئة، ولا أتصور أن فائدة إرسال هذا المبلغ أكثر من فائدة عدم إرساله(3).

5. الأدب والرحمة مع الخلق:

على المبلغ أن يمتلك أدباً ورحمة، فيلتزم بالآداب الاجتماعية في تعامله مع الناس ويراعي حسن الخلق في سلوكه في أوساطهم، ويرشدهم إلى الأخلاق الحميدة، فلا يخلق في نفوسهم أرضية لسوء الظن بالدين والمتدينين:

(خذوا في اعتباركم دائماً لدى قيامكم بالتعليم الأخلاق والأدب والرحمة والمودة, تعاملوا بطريقة تجعل تلميذكم يستشعر الرحمة فيكم، وفي هذه الصورة سيجد قوله الحق مكانه المناسب له، فإن الله تعالى خاطب نبيه . وهو المعلم الأكبر وصاحب أقوى بيان من أول التاريخ إلى آخره . بقوله: ﴿ وَكُنْتُ فَظًّا غَلِيظَ الْقُلُوبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾. (4)

وكلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان صحيحاً ومحكماً، لكن صاحب هذا الكلام . الذي لا يوجد أكثر اتقاناً منه . لو كان سيئ الخلق، لما قبل الناس كلامه(5).

6. العقل والتدبير:

يجب أن يتصف المبلّغ الديني بالتعقل، فيكتسب عقلاً اجتماعياً مناسباً، لتكون مواقفه حكيمة وخطاباته رزينة لا تؤدي إلى استفزازات وحزازات وانعدام للثقة، فيحفظ حرمة مركزه ويقوم بما يتناسب معه.

فانعدام التدبير، واللامبالاة عند المبلّغ الديني تسفر عن خسارة المبلّغ الديني لمنزلته ومركزه، فيهبط رصيده وتراجع قدرة تأثيره، علاوة على أنه يضيف أحياناً معضلة على العضلات التي يعاني منها المخاطبون:

(إنّ الطالب الذي ترسلونه إلى التبليغ هو مظهر "قم" فيجب:

أولاً: أن يكون حديثه متقناً، ولا بد من متابعة هذا الأمر والتشديد عليه.

وثانياً: أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة.

وثالثاً: علاوة على الأخلاق الفاضلة، أن يكون صاحب عقل وتدبير.

فإذا ذهب شخص إلى منطقة ما، وكان عالماً ومتديناً، ولكن ليس متعقلاً، وقام هناك بممارسات غير منطقية، فإن مشاكل كثيرة ستترتب على ذلك.

ونلاحظ الآن الدور المهم للعقل في الفئات والطبقات الاجتماعية كافة، وقد لاحظتم في مستوى قضية اختيار الموظفين اللائقين حيث أشار الإمام قدس سره إلى أن القائمين على الاختيار يجب أن يمتلكوا خصائص معينة منها العقل.

ومع أن العقل من الشرائط العامة التي لا يمكن أداء أي تكليف من دونه، لكنه وضع هذا القيد ليكون القائمون به من المعروفين بالتعقل والتدبير والنضوج، وعلى هذا الأساس يجب إرسال الطالب العاقل)([6].

إن العقل والتدبير الاجتماعي مركب من عناية إلهية وسعي اكتسابي، والأخير يتحقق بالدراسة وإدراك الواقع وتأثيرات الظروف الخاصة للمجتمع والبيئة و...، فيكمن للطالب في ضوء ذلك أن يتوفر على الشرائط المطلوبة ليتعامل مع المخاطبين بأفق مفتوح ويتجاوز الأخطاء:

(أحياناً يتمتع الطلبة بذهنية وعقلية ممتازة ولكن عدم معرفتهم بالمجتمع وطموحاته وتطلعاته توقعهم في أخطاء وممارسات غير سليمة، لذلك فإن من المستحسن إقامة دورات لتعريف الطلبة بتطلعات المجتمع، وعلى الطلبة أن يعرفوا قدر أنفسهم كما هو، لا أكثر من ذلك ولا أقل) ([7]).

7. الجد والاجتهاد:

يستدعي التبليغ الديني استقامة وهدوءاً، فالمبلغ الديني لا يخشى المشاكل والعقبات ولا يستسلم للصعاب، فيطوي مسيره الإلهي بكل قوة وقدرة، لا يريد في ذلك إلا وجهه تعالى.

ولا ينبغي المبلغ الديني الشهرة والجاه وإنما أداء التكليف، فيتوجه إلى أي مكان يحسب أن وجوده فيه مفيد، دون أن يستهدف في حركته رضى جهة أو شخصية، ولا يهتم بمنصب أو مقام أو منطقة كبيرة أو صغيرة أو لقب أو عنوان، وهو مسرور بالقيام بواجبه في انطلاقه فيه من هذه النية المباركة:

(عندما نؤدي وظيفتنا في مؤسسة معينة، يجب أن نكون جادين دائماً في أدائنا، وأن نهتم كثيراً بعلمنا، ولا ينبغي لنا أن تراودنا أفكار من قبيل أننا نعمل في المدينة المعينة منذ سنوات، فماذا تحقق).

في الجبهة، مثلاً، يطلب من أحدهم القيام بنقل المصابين، ومن الآخر الرمي بقاذفة (آر. بي. جي)، ومن الثالث رصد تحركات العدو، وعليه فإن لكل امرئ عمله، وإذا لم يؤد كل فرد دوره لانهارت الجبهة، فلا يصح رفض العمل المطلوب منّا القيام به فحمل المصابين لا يقل أهمية عن الرمي بالقاذفة.

أينما كنتم في الجمهورية الإسلامية اعتبروا موقعكم مركز العالم، واعلموا أن جميع الأعمال متعلقة بكم) ([8]).

المبلّغ الديني لا يستصغر عمله سواء كان في منطقة صغيرة أو كبيرة، فلا يقنع بالأهداف الجزئية والضئيلة، بل عليه أن ينظّم نشاطاته وفق مبادئه العليا وفي الآفاق المفتوحة، ويجتهد في أن يكون لخطابه أبلغ الأثر في نفوس مخاطبيه.

ويهتم المبلّغ الديني بالتبليغ ويصرف عمره في سبيل هدفه السامي وهو رضاه تعالى، فيما لا يجتمع التبليغ والعبثية ولا يتحقق التبليغ في الإطارات الإدارية:

(الأول: اطلبوا المعالي، ولا تقنعوا بالقليل والمتوسط، إن كنتم من أهل الفكر والإبداع الفكري والتنظيري فيها، وإن لم تكونوا كذلك فاعكفوا على قراءة الكتب وحفظها.

الثاني: اختيار الوسائل المناسبة والاستفادة منها بذوق جيد وإبداع للواقع وانطباق عليه.

الثالث: الاستناد إلى الهمة والإيمان والإرادة، يعني عدم التعب).

[1] من خطاب لسماحته خلال لقائه مبلغى الحزب الجمهورى الإسلامى: بتاريخ، 1361/4/1هـ.ش.

[2] من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدين عشية شهر رمضان بتاريخ: 1370/4/20هـ.ش.

[3] من خطاب لسماحته خلال لقائه أعضاء المجلس الأعلى للإعلام بتاريخ: 1365/12/15هـ.ش.

[4] سورة آل عمران: 158.

[5] من خطاب لسماحته خلال لقائه المسؤولين عن التشقيف العقائدي . السياسي في حرس الثورة الإسلامية، بتاريخ: 1363/3/3 هـ.ش.

[6] من خطاب لسماحته خلال لقائه الهيئة الإدارية في مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية في قم، بتاريخ: 1365/12/5 هـ.ش.

[7] المصدر السابق.

[8] من خطاب لسماحته خلال لقائه أعضاء منظمة الإعلام الإسلامي بتاريخ، 1370/12/1 هـ.ش.

إن تبليغ الدين عمل جاد وحساس كالصراط، حيث يقود أدنى انحراف إلى نتائج معكوسة، فيرسل المخاطب إلى النار بدلاً من الجنة، ويجعله ينفر من الدين بدلاً من أن يحبب الله والدين إليه، ويزرع فيه الأحقاد واللامبالاة تجاه الدين.

لذلك ينبغي للمبليغ أن لا يسطح عمله، فينظر إليه كما ينظر إلى النشاطات العادية ليبقى غريباً عنه.

يجب أن لا يكون المضمون التبليغي ضعيفاً وركيكاً، بحيث ينهار بأدنى انتقاد، ويمكن أن يكون محتوى الكلام سهلاً لكن يجب أن يكون متقناً:

(ليكن عملكم محكماً منذ البداية، يعني سواء كنتم معلّمين أو متعلّمين لا تنطقوا بكلام واهن، ولا تعبّروا عن رأي ضعيف، ولا تعتمدوا استدلالاً خاوياً. وحتى في المستويات المنخفضة علينا أن نعلم الشخص المنطق الصحيح الذي يظلّ في ذهنه مقبولاً حتى لو قوي عقله ونضج بالتجارب واتسع بالمعلومات.

فلا نقوم بتعليم المرء في الصف الأول كلاماً لا يقبله في الصف الخامس، فاثنان زائد اثنان يساوي أربعة، وهذا الأمر تعلمونه في الصف الأول والثاني، هذا ما تعلمونه للطفل، وبعد عشر سنين تظل

النتيجة واحدة لهذا الشخص, كل ما في الأمر أننا في الصف الثاني نثبت له النتيجة باستدلال معين، وعندما يرتقي فيه المراحل الرياضية العليا نبرهن له نفس الحقيقة ونفس النتيجة ببرهان آخر.

وهكذا يجب تعليم معنى التوحيد والنبي والإسلام والقرآن والدين والقيم الإنسانية والأهداف الدينية، وبالطبع قد لا نستطيع تقديم دليل بسيط وواضح عن كثير من المفاهيم والمعارف الإسلامية للعقول الابتدائية([1]).

وفي جميع أشكال التبليغ الديني هناك ضرورة ملحة لإتقان الكلام وإحكامه, فالبلاغ الديني سواء كان على شكل خطابة أو كتاب أو صحيفة أو فيلم أو... يجب أن لا يكون ضعيفاً وخاوياً:

(لنلتفت إلى أن ما نقوله يجب أن يكون صحيحاً وقابلاً للدفاع عنه وإثباته، وينسحب ذلك على القضايا السياسية والقضايا الإسلامية، وكذا على الفيلم والمسرحية والشعر والخطابة والدرس العقائدي وبقية الأمور)([2]).

الموضوعات الخاوية لا تفيد المجتمع ولو كانت جذابة على المدى القصير، فالذهن الخلاق للمجتمع لن يبقى راكداً وساكناً، ففي نهاية المطاف سيلتفت أفراد المجتمع إلى المضمون غير المنطقي لهذه الموضوعات ثم يبينون ذلك للآخرين، وفي هذا الحال تفقد الجاذبية الأولى قدرتها ولن تتحقق الفائدة المرجوة:

(الاستدلال الضعيف القابل للنقد . يعني عدم تطوير الواقع كما هو . من الأمور التي تلحق ضرراً بالمرء على المدى البعيد, بالطبع له جاذبيته للوهلة الأولى، ولكننا لسنا في مرحلة نعمل فيها على المستوى القريب، فنحن في مرحلة تقتضي تخطيطاً وعملاً في المدى البعيد)([3]).

ينبغي للمبّـلغ عندما يتحدّث مع عامة الناس أن لا يكون حديثه عامياً، فيلقي من الكلام ما يريد دون ضابطة بذريعة أن المخاطب أمّي أو شبه أمّي، وعليه في مثل هذه الأوساط أن يعتمد خطاباً بسيطاً، ففن التبليغ يتطلب منه أن لا يخلط بين الكلام البسيط وبين التفكير السطحي:

(لا إشكال في توجيه خطاب بسيط إذا كان المستمع من العامة ومستواه منخفضاً، لكن بساطة الحديث لا تعني الخطأ في الحديث)([4]).

ينبغي للمبليغ الديني أن لا يجعل الدين غطاءً لمنطقه أو خطابه الخاوي، وإن كانت العوام تستحسن ذلك المنطق أو الخطاب، كما ينبغي للمبليغ الديني أن لا يخضع خطابه لمذاق مخاطبه ومزاجه:

(اجتنبوا الكلام الضعيف والمعلومات المظنونة في القضايا الدينية، فلو كانت الفضاءات الذهنية لعوام الناس تتقبل أمراً ما، لكنه غير صحيح، فياكم والخضوع لتلك الفضاءات، فتطلقون تصريحات خاوية تحت غطاء الرأي الديني)([5]).

لقد ضاعف إتقان المضمون التبليغي وإحكامه التكليف، ففي الظروف الراهنة التي يراقب فيها الأجانب أوساط العلماء الشيعة ويتربصون بهم الدوائر، فإذا صدر منهم أي كلام خاوي استخدموه دليلاً ضدهم، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى يتعرّض مخاطبونا لهجوم ثقافي من قبل الأعداء، فأبى ضعف وتراجع في مضمون الخطاب التبليغي الديني تترتب عليه نتائج إيجابية للأعداء ونجاح هجومهم الثقافي.

إن من يمارس الخطاب الديني اليوم عليه مراعاة بعض الأمور منها:

1. إحكام الخطاب وإتقانه:

(فالتصريحات والخطابات توضع اليوم تحت مجهر الأعداء، وتعرّض أذهان وأفكار مخاطبيننا لهجوم الأعداء، فعلياً أن نحذر كثيراً حتى لو خاطبنا الأطفال فليكن خطابنا صحيحاً وقوياً ومبرهنناً)([6]).

ويتحقق الإتقان في التبليغ في ظل التفرغ والمطالعة، ففي أيّ مستوى من العلم والفضل كان عليه المبلّغ يجدر به أن يخصّص وقتاً مناسباً لتأهيل نفسه في مجال إحكام الخطاب وإتقانه:

(ارتقاء المنبر يستدعي المطالعة، والمنبر دون مطالعة معناه أننا نطرح على الناس همّنا وغمّنا، الأمر الذي يستبطن أننا لا نهتمّ بالناس)([7]).

على المبلّغ الديني أن يهتم بكيفية تبليغه، فالإكثار يمنعه من إتقان الكلام، ليُجعل التفرّغ للمطالعة والبحث أصلاً في نشاطه ولو انعكس ذلك سلبياً على عدد الخطب أو المؤلفات:

(لتكن الأقوال والتصريحات علمية، اجتنبوا الهزيل من القول، ولا ترتقوا المنبر دون مطالعة، اطلّعوا على آخر وأفضل الأقوال المتعلقة بالقضايا الإسلامية، وقد يسفر ذلك عن تقليل خطابتنا، لكن لا إشكال في ذلك، فهذه الوظيفة تحتمّ على المرء لكي يتحدّث جيّداً أن يقلّل كلامه)([8]).

2. الإقناع على المدى الطويل:

يجب أن لا تتلاشى تأثيرات التبليغ الديني بسرعة، كمن يحدث فقاعات على سطح الماء لا تلبث أن تختفي.

فعلى المبلّغ الديني أن يسعى لإطالة مدى تأثيرات عمله أو يجعلها باقية، فيستوعب عقل المخاطب وقلبه ويصوغ . استدلالياً . قناعاته، لا أن يصوغها حماسياً وفوضوياً ويجعل ذلك برهاناً على صحة عمله:

(على مبلغنا . ذلك المرء الذي يخاطب الناس . أن يتحدّث مع الناس بأمرٍ ثري أذهانهم لمدة يعتدّ بها، لا أن يتلاشى جهده التبليغي بكلمة أو بشعار أو بكتيب، فالمشكلة تكمن في أننا نوصل . أحياناً . المفاهيم إلى أذهان الناس بطريقة طوباوية، فيأتي الآخرون ودون ضجيج ليغسلوا كل ما أوصلناه! إنها مشكلتنا الكبيرة حتى الآن.

إن ما نريد إقراره في الأذهان يجب أن يقر بطريقة تمكّنه من البقاء في الذهن مدة من الزمن، خمس أو عشر سنوات، ولا أقول يجب أن يظل إلى آخر العمر، باعتبار أن ذهن الإنسان ينمو، وتنبت منه تساؤلات جديدة)([9]).

3. مواكبة مقتضيات الزمان:

يجب أن لا يدور المضمون التبليغي في فراغ وخارج زمانه، وكأنه مجردات عقلية لا صلة لها بحاجات المجتمع، فليتخذ المبلِّغ الديني مقتضيات الزمان معياراً لمطالعه وخياراته، ويطابق خطاه معها:

(ارجعوا وانظروا ما هي متطلبات العصر وما هي احتياجات الناس، واستنبطوا ذلك من الشرع الإسلامي المقدس.. نضجوه وهَيِّئوه، ثم قدّموه طازجاً للناس) ([10]).

المبلغ الواعي يدرك المتطلبات الآنية ويشخصها ويلبّيها وفق التكليف الديني، فيبذل كل جهوده لكي لا يتخلف عن أداء تكليف في الإجابة عن تساؤلات العصر:

(الحكمة في أن المرء يؤدي عمله في الظروف المناسب وأن يعرف زمانه... حكمة هذا الرجل . سماحة الإمام الخميني (قده) . تجلّت في إدراكه الدائم لمتطلبات كل لحظة، بالطبع فإن هذا الأمر مهم جداً، لأنه يستدعي:

أولاً: إدراكاً واستعداداً ونظراً ثاقباً.

ثانياً: شجاعة وشهامة.

يعني أنه يقوم بالعمل في الوقت الذي لا يقدم فيه الآخرون على العمل) ([11]).

إن المجتمع يهتمّ بالمبلِّغين في ظلّ إدراكهم لوضع المجتمع وحركية العصر، والمبلِّغ الناجح هو الذي يتواكب خطابه مع مشاكل المخاطبين والإشكالات الدينية المعاصرة، فيوضح الإجابات عن الإشكاليات ويحل المشاكل، فهو لا يخاطب موجودات فضائية مجهولة، وإنّما يوجّه خطابه لإنسان يعيش على الأرض، فعليه أن يعرف آلامه ويواسيه في أحزانه، ويقدم الإجابات الشافية عن كل تساؤلاته:

(كان في إيران نوعان من الخطباء، أحدهما: الخطيب الذي لا يهتم أحد بحديثه، لأنه لا يتناول في حديثه أموراً مرتبطة بعصره.

والآخر: الخطيب الذي يزدحم الناس . وبخاصة الشباب . حوله للاستماع إليه (فليس كل من باع الحلوى كثرت زبائنه)، ما الفرق بينهما؟ أفي قوة البيان وضعفه؟ أم في رخامة الصوت؟ أم في الرشاقة والشكل؟

إن جميع الناس إمّا في هذا الطراز أو في ذلك، لكن الفرق يكمن في أن ضآلة عدد المستمعين تعود إلى أن الخطيب لا يفهم مقتضيات العصر ويتطرق إلى أمور أخرى، فالناس كانوا متعطشين لمجموعة من المفاهيم الإسلامية التي لا يتناولها هؤلاء أو لا يجرؤون على التحدّث بها، أو أن عقولهم لا تصل إليها، لكنهم بسبب أو بآخر لا يعتبرونها ضرورية)([12]).

4. تعميق المضمون:

طوى مخاطبونا في مختلف المراحل العمرية والتعليمية خطوات واضحة في التثقيف الديني، وهذا الأمر يستدعي من المبلّغ تعميق محتوى كلامه وأن لا يكرّر أقوال المبلّغين الماضين للأجيال السابقة.

فلأسف أن المخاطبين مستأوون من عدم طرح الموضوعات الجديدة والمفيدة في الخطاب التبليغي؛ لذلك نشاهد أنهم يحجمون عن حضور المجالس والمحافل التبليغية، أو أنهم يحضرون في أيام خاصة فقط إسقاطاً للتكليف وفقاً للسنة، متجاهلين أقوال المبلّغ.

يجب على المبلغ الديني أن يسعى لتصعيد المستوى العلمي للمخاطب، وأن يزيد من عمق الموضوعات التي يخاطب بها جميع المراحل العمرية والتعليمية.

فلا يصح النظر إلى الطفل اليوم كطفل الأمس، ولا يماثل الفتى الآن الفتى قبل عدّة عقود، وهكذا في المراحل العمرية والتعليمية الأخرى، وحتى عوام الناس يختلفون . بوضوح . عن أمثالهم السابقين، فهم

في الأقل على تماسّ مع المذيع والتلفزيون وما يبثانه من معلومات، ولديهم أولاد متعلمون يمكنهم أن يحصلوا على بعض المعلومات منهم، علاوة على ما تزودهم به البيئة والناس الذين يعرفونهم من تعاليم. وعليه ينبغي للمبلّغ في أي مستوى تبليغي كان أن لا يقتصر على المعلومات والموضوعات السابقة، ويقف عند حدود مطالعته لبعض الكتب التقليدية:

(المجتمع يتحوّل ويتطوّر، الثورة تتحرك وتسير، فلا بد من امتلاك تحليل وفكر وبناء منطقي وعقائدي يتناسب وجميع مراحل ودرجات التطور والحركة... إنه أمر واجب ويقع على عاتق العلماء، ويجب أن نسجّل حضورنا على المنابر وفي الخطب.

ألاحظ أحياناً أن بعض هذه الخطب التي تنشر بين الحين والآخر في الصحافة خاوية، ولا تتصل بالعصر الحاضر، يعني أنها تتناول أموراً واضحة وجميع الناس يعرفونها) ([13]).

5. مراعاة الاعتدال:

لا بد للمبلّغ الديني من معرفة الدين جيداً ليبلّغه للناس، متحاشياً الإفراط والتفريط، فلا يستند إلى جانب من الدين وينسى أبعاداً أخرى منه، فالدين في شكله الجامع أساس للسعادة الإنسانية، لكن الإفراط في التركيز على أحد أبعاد الدين يعكس صورة كاريكاتورية ومزيفة عنه، وتترتب مخاطر على الوضع الديني للمجتمع.

وقد أشار سماحته إلى الإفراط والتفريط في أحد أبعاد الدين بقوله:

(عليكم بمراعاة الاعتدال، والاعتدال يعني تفادي الإفراط في أي اتجاه كان، فبعض الخطباء يفرطون إمّا في الجهات الأخلاقية أو الجهات السياسية، لا فرق أيّاً كانت الجهة، فالإفراط مذموم في كل الأحوال. بالطبع أكثر ما يحتاج الناس إلى الأخلاقيات، فنحن بحاجة إلى ثورة أخلاقية، لكن لا يكون الأمر بحيث إذا تناولنا القضايا الأخلاقية، أو قرأنا على الناس حديثاً، أغفلنا تماماً القضايا الراهنة والقضايا الثورية، وقضايا العالم، وقضايا الحياة.

وكما ذكرت فبعض يرتقي المنبر، لكن السامع يظن أنه لم تحدث ثورة في البلد! هذا إفراط في جانب، والإفراط في الجانب السياسي خاطئ أيضاً، فبعض يخصص جميع خطبته من بدايتها إلى نهايتها للأمور السياسية، ولا نجد عبارة في الأخلاق والنصيحة والتهذيب والأحكام(14).

6. مراعاة الأولوية:

لابد من مراعاة الأهم ثم المهم في مضمون الكلام، فلا نكتفي بصحة الموضوع وحسنه، فالتبليغ يجب أن يتطابق مع الحاجات الفورية والأولية للمخاطبين.

على المبلّغ الديني أن يعتبر نفسه كالطبيب العالم والحكيم العاقل، فيتمعن بعمق في مريضه ليشتخص أداؤه، ثم يصنف أمراضه فيبدأ بعلاج الأمراض الخطيرة والمميتة، ولا ينشغل بالآلام الخفيفة والأمراض البسيطة:

(علينا أن نتحدث بالأهم، فقد يكون الموضوع جيداً جداً لكنه غير مهم، إذا كان شخص بحاجة إلى من ينقذ حياته فهل من الصحيح أن تحدثوه. مثلاً. عن العناية بنظافة الفم والأسنان؟

إن نظافة الفم والأسنان أمر ضروري، لكن هذا الشخص يعاني من مرض قاتل. اهتموا بالقضايا ذات الأهمية، والأهم هو الذي يجب أن يقال(15).

لمعرفة القضايا الأهم لابد من التأمل والتمعن وإدراك القضايا، والذكاء والنظر الثاقب، وتخصيص وقت مناسب، لأن قضايا المجتمع الفكرية في تغير دائم، والتساؤلات التي تفرزها حركية الحياة تظل تلح مطالبة بالإجابات:

(الأهم هو الذي يجب أن يقال، عليكم أن تبحثوا عما يدور في ذهن الشباب من تساؤل بحيث إن لم تتضح الإجابة عنه قد يؤدي ذلك إلى الانحراف ما هو هذا السؤال؟ عليكم أن تبحثوا عنه وتجدوه.

الجزء الصعب في القضية يتمثل في ديمومة السعي للعثور على تلك الأسئلة التي تدور في الأذهان، فالأسئلة ليست دائماً من نمط واحد.

في الأيام التي كنّا فيها في مقدّمة النشاط التبليغي ونبذل جهوداً ضخمة في هذا الطريق، لم تكن القضايا المطروحة آنذاك تشبه ما هو موجود الآن، آنذاك كان علينا أن نفهم الاشتراكية العلمية والمادية التاريخية لنرد عليهما.

في ذلك الوقت كانت هذه المسائل تشغل أذهان غالبية شبابنا الجامعيين وغيرهم حتى بعض التجار والكسبة، لكن اليوم توجد قضايا أخرى.

هل تريدون أن تبقى هذه القضايا؟ هل تريدون أن يبقى فراغ في أذهان بناتنا ونسائنا وأبنائنا ورجالنا ليملأه العدو كيف يشاء؟

إن لم ترغبوا في ذلك عليكم أن تحدّدوا الفراغ. ثمّة حاجة إلى أجهزة متخصصة للتفكير في هذا الأمر(16).

7. تحاشي التفكير:

لابد للمبلّغ الديني أن يعتمد الأسلوب المنطقي والتحاور اللين، ويتحاشى التكفير والاتهام.

إن تكفير الآخرين لا يحل المشاكل بل يكرّسها ويضاعفها، ويضفي طابع المظلومية والبراءة على الأفكار المسمومة، فيضعها وسط هالة زائفة من القدسية فيجتمع حولها الأنصار والمؤمنون بها.

وللأسف كان لظهور وتنامي الفرق الضالة في تاريخ بلدنا ارتباط بهذا النمط من التعامل، فكلّما حلّ التكفير محلّ المنطق وقعت مخاطر عظيمة والتجربة التاريخية عبرة لمبلّغينا:

(ارتكبنا . نحن المعمّمين وعلماء الدين طوال التاريخ . أخطاءً كبيرة في نقد بعضنا بعضاً، فقد تصورنا أن النزاع والإبعاد وأحياناً التكفير بمقدوره أن يجتثّ جذور الأفكار الخاطئة من المجتمع، بينما هذا الأمر خاطئ).

لماذا استقرّت الأفكار الخاطئة للفرق الضالة في عقول كثير من الناس وما زالت حتى الآن؟ السبب يكمن في أن التعامل معها لم يكن منطقياً واستدلالياً، وإنما كان تعاملًا خشناً وحسب.

هذا التفكير الالتقائي موجود في مجتمعنا، إلا أن الرد عليه ليس بالعصا والشجار والإبعاد والتكفير والتفسيق، بل بالعمل الصحيح(17).

وتزداد أهمية هذا الأمر في عصر الحكومة الدينية، ففي عصر الانزواء لم تكن أنظار العدو متوجهة للحوزة مثلما هي الآن؛ لأنها كانت بعيدة عن الحكم، أمّا الآن فيوجد ارتباط وثيق بين الدين والحكومة، لذلك فإن تداعيات التكفير والتفسيق السيئة ستبدو مضاعفة.

في عصرنا هذا يمكن بسهولة اعتبار التكفير والتفسيق دليلاً على عدم منطقية الحكومة والدين، فيتم تصوير الدين القائم على الحكمة والمنطق على أنه دين قمعي وإرهابي، الأمر الذي يساعد على الانفصال عن الدين أو التشكيك في أركانه.

الالتفات إلى هذه النقاط يقتضي من المبلّغين أن يردّوا على الأفكار المنحرفة بالمنطق والنتائج الفكرية الغزيرة:

(المجابهة يجب أن تتناسب مع المصلحة والحكمة، فالיום ليس كالأمس، ففي السابق إذا تكلم شخص ولم يكن بإمكاننا أن نقوم بأي عمل كتنا نصرخ أو نعلن البراءة منه، أو نكفّره أو نفسّقه إذا كان كلامه في حدود الكفر والفسق، أما اليوم فلا حاجة لهذه الأمور، ويجب تجنّب هذه الممارسات فإنّها تضرّ بالمجتمع الإسلامي(18)).

الطرح الصحيح لمظاهر الحق يفسد عمل أهل الباطل، كالورد الذي يبطل سحر الباطل ويفضحه دون الحاجة إلى ضجيج وتكفير وتفسيق.

جميعنا يجب أن نكون (لا ريب فيه) [19]، عقائدنا يجب أن تكون (لا ريب فيه)، وهذا نبينّه بقوة واقتدار وثبات وبلغة مناسبة، وقتها سنرى مصداق "لا تقارن السحر بالمعجزة، إنما كن صاحب قلب".

لا تأسفوا، هاتوا المعجزة، سيقهر السحر تلقائياً، وستلقف حبالهم وعصيهم.

المطلوب إذن أن نلقي عصا موسى ونخرج يدنا البيضاء من جيبننا.

[1] من خطاب لسماحته خلال لقائه طالبات المدرسة العلمية في (مسجد سليمان) بتاريخ: 1361/6/4هـ.ش.

[2] من خطاب لسماحته خلال لقائه أعضاء المجلس الأعلى للإعلام، بتاريخ: 1361/12/24هـ.ش.

[3] المصدر السابق.

[4] من خطاب لسماحته خلال لقائه مسؤولي الشئف العقائدي . السياسي لحرس الثورة الإسلامية، بتاريخ 1363/3/3هـ.ش.

[5] المصدر السابق.

[6] من خطاب لسماحته في جمع من علماء الدين في محافظة (جهاز محال وبتختياري)، بتاريخ: 1371/17/15هـ.ش.

([7]) من خطاب لسماحته خلال لقائه المسؤولين في منظمة الإعلام الإسلامي، بتاريخ: 1370/12/15هـ.ش.

([8]) من خطاب لسماحته خلال لقائه بأئمة الجماعة وعلماء الدين والمبلغين عشية شهر رمضان بتاريخ: 1371/11/25هـ.ش.

([9]) من خطاب لسماحته خلال لقائه أعضاء المجلس الأعلى للإعلام، بتاريخ: 1361/12/24هـ.ش.

([10]) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدين في (رفسنجان)، بتاريخ: 1371/2/7هـ.ش.

([11]) المصدر السابق.

([12]) المصدر السابق.

([13]) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدين في الحزب الجمهوري الإسلامي، بتاريخ: 1364/6/21هـ.ش.

([14]) من خطاب لسماحته خلال لقائه أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في مشهد، بتاريخ: 1369/1/14هـ.ش.

([15]) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدين عشية شهر رمضان، بتاريخ: 1373/11/15هـ.ش.

([16]) المصدر السابق.

([17]) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدين في زنجان، بتاريخ: 1364/8/29هـ.ش.

([18]) المصدر السابق.

([19]) البقرة: 2.

من الأجدى للتبليغ . علاوة على المضمون الجيد والصحيح . أن يعرض في أنماط أو نماذج مناسبة وجذابة، فينبغي للمبلِّغ الديني الالتفات إلى أن لمخاطبيه مستويات متفاوتة في المعلومات والأذواق والذكاء والإيمان ...

هذا الأمر يقتضي اعتماد أنماط ونماذج تبليغية تتناسب مع مختلف الفئات التي يوجَّه إليها خطابه، فلا يكفي بنمط أو نموذج تبليغي واحد لمخاطبة المجتمع بمستويات كافة:

(يتفاوت التبليغ . أي التوصيل وأدواته . تبعاً للظروف، فتارة نريد نقل شيء إلى الغرفة المجاورة، وأخرى على مكان يبعد مسافة فرسخ، وتارة ثالثة إلى أقصى نقطة في العالم، أحياناً تعترضنا الحجب والجدران، وأحياناً يجب علينا اجتياز العقبات والجبال، وقد نحتاج إلى الأدلة والبراهين لإقناعه، بل قد يظلّ يقف على مسافة منا ممتنعاً عن القبول بأفكارنا.

إذن، فالتبليغ يتقوّم بأقسام وأنواع متعددة تبعاً للظروف المختلفة، ترى ما الذي يشخّص أداة التوصيل وأسلوبه؟

إنه إبداعكم وذوقكم وفهمكم وسرعتكم في النقل. إذا كان المطلوب نقل مقدار من الماء مسافة فرسخ وحملتموه في كأس كل هذه المسافة بحيث تساقط أغلبه أثناء النقل، فإن العقلاء يدهشون لعملكم، فما هكذا ينقل الماء، بل يحتاج إلى جرّة أو كوز([1]).

من غير الصحيح إذن التعصب للأنماط التبليغية السابقة والاقتصار عليها، ففاعلية طريقة ما في العصور الماضية لا يجب أن تتحول إلى حجاب يمنع المبلِّغين من التفكير في طريقة أخرى:

(لا ينبغي لنا الاكتفاء بالقول: هكذا كنا نبلغ في السابق، وكانت طريقتنا في التبليغ مؤثرة. أجل، ارتقى الشيخ جعفر الشوشتری رضوان الله تعالى عليه المنبر يوماً في إحدى مدارس طهران، وخاطب الناس قائلاً: "أيها الناس، يكفي أن تعلموا أن الله موجود" فأحدث تحولاً في قلوب الناس بهذا المقدار من التذكرة.

لقد أثر كلامه في النفوس سواء كان السبب في ذلك يعود لنفسه أو المدد الإلهي أو أجواء تلك الأيام، أو استعداد المستمعين، وإذا أردنا اليوم أن نرتقي المنبر ونقول: يا أيها الناس اعلموا أن الله موجود، فالإنسان سيعجبون لعملنا)([2]).

وعليه يجدر بالمبلغ أن يعيد النظر دائماً في أنماطه ونماذجه التبليغية فيجعلها تواكب تطورات العصر وحركة الحياة الاجتماعية:

(من غير المنطقي أن نطرح كلامنا الحق اليوم بذات الطرق والمناهج التي اعتمدت قبل مئة عام، بل هناك تفاوت بين اليوم وما قبل الثورة فالمنبر الذي كان مفيداً ومؤثراً قبل الثورة في الأعوام (1976). 1978)، قد لا يكون مؤثراً ومفيداً في كل مكان هذه الأيام).

فالتبليغ تواصلٌ وتجاوز بين المبلِّغ والمخاطب، ومعلوم أن الشرط الأول لأي تواصل وتفاهم هو الاستئناس باللغة وبأداة التواصل.

لكن المؤسف أن التبليغ الحوزوي يتم أحياناً باللغة المهجورة؛ بحيث يجد المخاطب نفسه يإزاء كم كبير من الكلمات والمصطلحات الغريبة والألفاظ المعقدة التي تُضَبُّبُ له الحقائق فيضيع عليه الطريق:

(عرض المرحوم المجلسي رضوان الله تعالى عليه في "حق اليقين" و"حياة القلوب" وأمثالهما الأخلاق والعقائد الدينية بلغة عصره، فيما قرَّب الآخرين من الفكر الشيعي واجتذبهم إليه، ولا تظنُّوا أن كتب المجلسي جاءت جزافاً، إنما رسَّخت دعائم التشيع في ذلك العصر الذي كان فيه التشيع جديداً في بلادنا، وعمَّقت العقائد الشيعية في قلوب الناس.

لقد كانت هذه الكتب مفيدة وقتذاك، ومع ذلك لا نستطيع اليوم اعتماد "حق اليقين" و"حياة القلوب"، فضعوهما على الرف باعتبارهما جزءاً من التراث، وليتركز جهدنا على تقديم مضمونها بلغة العصر[3].

على الحوزة أن تهتم بالفن المعاصر، فالفن بكل أشكاله المسموعة والمرئية والمكتوبة يمتلك خزيناً ثميناً من التجارب تراكم عبر التاريخ، لكن الحوزة غافلة عن هذه الثورة بحيث نشهد قطيعة بين الحوزة والفن.

فللتوفر على أنماط تبليغية مناسبة، لابدّ للحوزة من تعميق الصلة بينها وبين الفن المعاصر، والكف عن اعتباره لهواً ولعباً منافياً للمروءة.

فخطاب الحوزة علاوة على بعض الاتجاهات الجديدة المتمثلة في كتابة المقالات التحقيقية ما زال هناك أنماط وأساليب فنية جديدة في المناهج التي خبرتها الحوزة، إضافة إلى عشرات المناهج التي لم تجربها بعد، مع أن مكانتها لا تقلّ عن غيرها.

فيجب على المؤسسة التبليغية للحوزة أن تدرك مكانة الفن، وأن تدعن إلى أن جمال العرض يضاعف من فاعلية التبليغ ويوسع مداه:

(ينبغي الاستفادة القصوى من الفن، وأعني الاستفادة من الفنانين الموجودين، فثمة استعدادات وتوجهات فنية عند الطلبة وغيرهم؛ إذ لا بديل للفن في المجال التبليغي، أي لا يملأ مكان الفن في التبليغ أي شيء سواه، وهذا أمر ثابت في العالم ويجري العمل به، فيقال: إن عرض عبارة واحدة ناهية أو آمرة من خلال أسلوب فني معين يجعل من شأنها الاستقرار في أعماق نفس المستمع فيستجيب لها).

فاليوم يترافق التبليغ والفن، فيجب علينا إذن أن نجمع التبليغ إلى الفن[4].

وقد مارس الجهاز التبشيري المسيحي هذه التجربة وما يزال، مستخدماً مختلف الفنون (الرواية، المسرحية، السينما، الرسم، الموسيقى) من أجل توصيل مفاهيمه ومبادئه بنحو غير مباشر.

ففي ظل الإدراك الصحيح لأهمية الفن والتوظيف المطلوب له حققت المسيحية حضوراً ملموساً على الساحة العالمية، حتى استطاعت أن تجد في البلاد الإسلامية أفراداً يستجيبون لها دون قصد:

(لست من الذين يقارنون كل ما يطرح عندنا مع الأجانب، وأوجه الانتقادات إلى جانبنا فأنا أعتزّ بالحقائق الموجودة في مجتمعتنا، لكن ثمة أمور تجري أمام أعيننا في هذا العالم، فمثلاً ليس للكنيسة علم ديني بتلك الصورة المعمقة والاستدلالية، لكنها في الوقت نفسه متقدمة في الجانب التبليغي.

لقد أنتجوا أفلاماً كثيرة في إطار الدعاية للمسيحية دون أن يظهر ذلك، حتى إن أصدقاءنا في التلفزيون وفي أيام كانون الثاني وأعياد الميلاد، يعرضون عدداً من الأفلام المسيحية والكنيسية مجاملة للمسيحيين، وقد لاحظت أن أغلبها يروج للكنيسة، فمن يشاهد الفيلم يتأثر به، إذ يعرض قسيساً بوجه نوراني وهو يقوم بعلم إيجابي)([5].

ومن الطبيعي أن توثيق الارتباط بين "الحوزة" و"الفن" لا يتم بين ليلة وضحاها، فهو يحتاج إلى وقت وإلى تخطيط دقيق.

بوسع المؤسسة التبليغية للحوزة وعبر التخطيط المناسب أن تصوغ سبل الارتباط، وتعزز حضور "الفن" في الحوزة، فتكتشف الذوق الفني لدى الحوزويين، وتهيئ لهم الأرضية الخصبة للإبداع والارتقاء الفني، وتدعم الطلبة الفنانين مادياً ومعنوياً، وتدعن على أن الفنون من وسائل التبليغ الديني، فتعمل على صياغة طرق الاستفادة منها في منظوماتها التبليغية:

(لا تنجز هذه الأعمال بين ليلة وضحاها، فإذا بدأت اليوم بالعمل في هذه المجالات وقمتم بإنتاج البرامج الصوتية والتصويرية . وبخاصة التصويرية . فربما تتوافر للحوزة هذه المقدرة بعد عشر سنوات، لكننا نفتقدها حالياً ولا نستفيد من الفن)([6].

[1] من خطاب ألقى في 1370/12/25 هـ.ش.

[2] المصدر السابق.

[3] من خطاب ألقى في 1370/2/5 هـ.ش.

[4] من خطاب ألقى في 1361/12/5 هـ.ش.

[5] من خطاب ألقى في 1374/9/14 هـ.ش.

[6] المصدر السابق.

يجب على المبلغ أن يتوفر على معرفة صحيحة بمخاطبه، ثم يوجه خطابه إليه، فيقيم ارتباطاً بين المخاطب والمضمون ونمط التبليغ.

ومن المؤسف أن نقائص ومعايب كثيرة تحيط بهذا المضممار أيضاً، حيث لا تعتبر مراعاة مستوى المخاطب شرطاً جاداً للتبليغ، فالمبلغ يعرض ما يعمل به في قالب معين اعتاد عليه ولا صلة له بطبيعة المخاطب، فهو يتحدث مع جماعة مجهولة لديه، وبموضوعات جاهزة سلفاً.

فيجب أن يكون لدى النظام التبليغي للحوزة معلومات واضحة عن خصائص المناطق والبيئات والمجتمعات المفترض مخاطبتها لتعين المبلغ في وظيفته:

(لا توجد مواد تبليغية مثل تصنيف البحوث وتشخيصها لكل فئة من المستمعين، فعلى سبيل المثال إذا أردتم التوجه إلى بلد معين ستستفيدون من مطالب معينة لا تنفعكم في بلد آخر، وهكذا فإن ما

تحتاجون إليه في القرية يختلف عما تحتاجون إليه في المدينة الكبيرة، وفي طهران والجامعة والبيئة الطلابية تتباين المقتضيات عن مجلس تعزية نسائي، إن هذا التصنيف غير موجود في الحوزة(1).

إن عدم معرفة المجتمع المخاطب يعد المبلغ عن هدفه، بل يعرضه أيضاً. في بعض الأحيان. لمطبات خطيرة تقضي على العكس مما يتوخاه من التبليغ، وبناء على هذا يجدر بالمبلغ أن يعرف المجتمع الذي يتحرك وسطه، ثم يضبط حركيته وينظمها وفق هذه المعرفة:

(أحياناً يتمتع الطلبة بخلفيات ذهنية وعقلية جيدة جداً، لكن عدم معرفتهم بالمجتمع وتطلعاته وما يحمله (المجتمع) من تصور عن المبلغ، يوقعهم في ممارسات تخالف المطلوب.

فمن الضروري إعطاء دروس حول تصورات الناس عن المبلغ وتوقعاتهم منه، فيتعين على الطالب "الحوزوي" أن يعرف قدر نفسه وقدر المبلغ كما هو لا أكثر ولا أقل).

ويفترض بالمبلغين أن يعلموا أن المجتمع في حالة تغير مستمر، فلا يعيدوا لجامعي اليوم حديثهم الذي حدثوا به الجامعيين قبل عشرة أعوام، ولا يتصوروا شاب اليوم كشاب أوائل الثورة، فيئة المدينة والقرية في تغير دائم:

(يتعين على إمام الجمعة في مدينة ما أن يطور مستوى خطبه على الدوام، فالمطلوب أن نعرض للناس خطباً جديدة وحيوية، فإن ما أوصل الناس إلى مستوى تحمّل "أمانة" الثورة الإسلامية هو الخطاب الديني المتجدد والفهم الصحيح والجديد للإسلام الذي بين للناس الجوانب المجهولة من الإسلام، وتلك الجوانب التي لم توضّح للناس على مدى عصور متتالية.

واليوم يتجلّى ذلك الخطاب بحقائقه العينية والخارجية، ولديمومة هذه الحركة ومواكبة التطور يجب الاستمرار في ترشيد الناس وتصعيدهم فكرياً).

وعلى المبلغ أن لا يخلط بين معرفة المخاطب والانسياق مع الأجواء السائدة، فلا بد أن يتحاشى الاستجابة لأهواء المخاطبين ورغباتهم.

على المبلغ أن لا يغفل عن مبادئه وقيمه ومنطلقاته ويوقعها في أسر الأهواء، وبعبارة أخرى: يتعين على المبلغ أن يدرك أذواق واتجاهات المخاطبين ويأخذها بنظر الاعتبار، دون أن يعني ذلك وضع الدين في سجن النوازع الآنية:

(الشباب يتسمون بالإخلاص والإيمان والظرافة، فعلينا أن نحافظ على صفائهم وإيمانهم، وهذا لا يعني أن نقبل منهم ما ليس داخلاً ضمن تخصصهم.

وللأسف نشهد هذه الأمور في بعض الحالات، وهذا مؤثر على تأثر بعض المبلغين بالجوّ السائد، فهم يردّدون ما يمليه الجو عليهم، حتى إنهم يحسّون أحياناً بذلك، وهذا بلاء عظيم، فمن غير الصحيح أن يؤثر الجو المتأثر بفكر ما أو عقيدة ما أو انطباع ما على أذهانكم وانطباعاتكم.

إن الإعراض والرفض والجفاء أمور غير صحيحة، ولا نوافق عليها، ولكننا لا نوافق أيضاً على أن يبدي أحد العلماء رأياً لا ينسجم مع تشخيصه ومبناه الفقهي وفتاويه أو فتوى مقلده، أو يتعارض مع مسلماته، وهذا ذنب لا يرضى به الله ولن يعفو عنه بالتأكيد[2].

وينبغي للمبلغ أن يرى في التحرك بشهامة وشجاعة تكليفاً شرعياً إنسانياً، فلا ينكفي وينعزل، بل يتحرك في وسط المجتمع ويعرض أفكاره بوضوح وجرأة، ولا يجعل خطابه أسيراً لأحاسيس المخاطب الآنية، بل يجعل مشروعية خطابه وفائدته للمخاطب أصلاً في عمله.

ولا يتخذ الضجيج الذي قد يثار حوله والمشاكل التي قد تعترضه معياراً لحركته، فمثله مثل الطبيب الحاذق الذي يصف الدواء المر وإن لم يستمرئه المريض:

(يجدر بالكاتب أن يطرح الموضوع من خلال نظرة عميقة وبعيدة المدى، وبشجاعة تامة، أي بعيداً عن أي مهادنة للجامعيين وغيرهم.

وبعبارة ثانية: يجب أن لا أتأثر في كتابتي للموضوع بالأحكام التي أتوقع أن يصدرها القارئ ضدي، بل يجب أن أكتب الحقائق بشجاعة.

فالموقف الشجاع يعود بالفائدة على صاحبه, وقد شاهدنا إبان السنوات العشر الفائتة أفراداً لم يتخذوا مواقف شجاعة، خشية أن يستاء طرف معين منهم، أو لأن طرفاً ما ينتظر ذلك، فهؤلاء ينطلقون من خلفيات خاصة، وهذا الأمر يعود عليهم بالضرر, على أنه لا ينبغي إغفال بعد النظر.

فعلى المرء أن يتمتع بسعة الصدر وبعيد النظر, وعليه أن يجمع إلى سعة الصدر الشجاعة والصراحة والثبات)([3].

ولقد جسّد الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه النموذج الأروع في الجمع بين معرفة المخاطب وعدم التأثير بالجوّ السائد, وهو ما تجلّى فيه قبل انتصار الثورة الإسلامية وبعده, فلم يشته اهتمامه بمخاطبه وصياغة محتوى خطابه ومستواه وأهواء هذا الطرف أو ذاك عن القيام بتكليفه، فثبت واستقام على منهجية المستقيم طارحاً بصراحة تامة رؤاه وأفكاره الأصيلة، قبل الثورة وبعدها، دون أي مهادنة.

وقد أشار سماحة قائد الثورة مراراً إلى هذه الخصلة الممتازة التي تميز بها سماحة الإمام رضوان الله تعالى عليه, ومن ذلك قوله:

(عاد الإمام إلى إيران في وقت كانت أجواء الصراع لدى بعض المستويات في الأفراد مشحونة بالتصورات المستوردة, وكان بعض العلماء قد شارك فيها, وجاء الإمام فأقصاها جميعها.

وقد تجسّد موقفه في أول خطاب له في المطار, حيث أنابتني الحيرة عندما كان يلقي خطابه وقلت لنفسى: عجباً! لا يتأثر الإمام بالملاحظات التي نتأثر بها, وفي الأشهر الأولى طرح بشكل قاطع مسألة السفور والحجاب)([4].

[1] من خطاب ألقى في 14/9/1374هـ.ش.

[2] من خطاب ألقى في 17/12/1363هـ.ش.

([3]) من خطاب القي في 1370/11/28هـ.ش.

([4]) المصدر السابق.

تجد الحوزة نفسها اليوم إزاء كم كبير من الاحتياجات المتزايدة في المجال التبليغي، وهو ما يستدعي منها موقفاً جاداً ومنظماً:

(إن انحسار النشر والتبليغ أحد المشاكل التي تعاني منها الحوزة؛ إذ لا تصدر الحوزة ذلك المقدار الكافي من الكتب والصحف والمجلات، ولا ترسل العدد الكافي من المبلغين، فثمة طلب دائم إلينا من أنحاء العالم كافة أفريقيا وأوروبا وآسيا أن نرسل إليهم العلماء).

وعلاوة على هذه الحاجة الكبيرة، أمست الممارسة التبليغية مدعاة لعمليات معقدة ودقيقة زادت من صعوبة الأمر، وأكدت اتخاذ موقف رزين ومدرس بهذا الخصوص.

وهنا نلفت إلى أهمية المسائل الآتية:

1. ضرورة التنظيم :

يفتقد التبليغ الحوزوي للعمل التنظيمي، حيث يتم في الأغلب بنحو تلقائي وفردى ومزاجي، وعليه فإن الخطوة الأولى اللازمة لحل المعضلات تتمثل في إيجاد مؤسسة تبليغية في الحوزة، قادرة على تنظيم القوى والاحتفاظ بها:

(يتعين علينا القيام بعملين؛ أحدهما: تنظيم التبليغ بأفضل نحو، فبالتنظيم نستفيد من القوى . مهما صغرت . في موردها المناسب، فكما أنكم تارة تنقلون المياه من مكان إلى آخر بوعاء، وتارة أخرى عبر الأنابيب، وتلاحظون أنكم في الحالة الثانية لا تهدرون قطرة واحدة من الماء، وهكذا العمل المنظم لا يهدر الطاقات.

إن تنظيم التبليغ يمنع من هدر أي طاقة، كالماء الذي لا يُخَتر ولا يترسّب في الطين ولا يتبدّد في غير موضع الحاجة إليه، فأحياناً تذهب كميات كبيرة من المياه سدى أثناء سقي إحدى الحدائق، وهذا يعني أن الماء الضروري للحياة قد دمر الحديقة وحولها إلى أرض موحلة.

وفي بعض الحالات يكون تبليغنا مشابهاً لهذا المثال، أي إن كانت هناك حاجة لمبلغ في منطقة ما، فإننا نرسل ثلاثة أضعاف العدد المطلوب من المبلغين، فتكون النتيجة مناقضة للهدف التبليغي! إن التنظيم يحول دون هذه السلبيات([1]).

2. التنظيم المناسب:

لابدّ للمؤسسة التبليغية في الحوزة أن تواكب الاحتياجات وتستجيب لها، فشدة التطلع والحاجة إلى العمل التبليغي وتعدد مستويات المخاطبين، تستدعي وسائل تبليغية متعددة، إضافة إلى عشرات المسائل الأخرى التي يفترض بالمؤسسة التبليغية أن توفرها وتعتمدها فيما يحقق لها أهدافها.

وهذا الأمر يستلزم تشكيل مؤسسة تبليغية تتمتع بإدارة مقتدرة وكوادر متمرّسة وآليات عمل فاعلة، وفي غير هذه الصورة فإن هذه المؤسسة تغدو عبئاً يثقل كاهل الحوزة، ومشكلة أخرى تضاف إلى مشاكلها:

(لولا التنظيم، لولا تحرك الأشخاص الذين يريدون أن يتحدثوا في إطار عمل منظم، لما وجدنا لهذا الجهد العظيم أثراً.

لقد كان هذا العمل المنظم يتم قبل انتصار الثورة بشكل بسيط فيما لم يكن مجال عملنا وسیعاً، ترى كم نستطيع أن نعمل؟ ما الذي يمكن شخصاً واحداً من مدّ نفوذه إلى مساحة واسعة من المجتمع؟

اليوم أصبحنا محطّ تطلّع نظام ومجتمع وبلد وحكومة، إذا كان الأمر كذلك فيجب أن يكون لدينا عمل منظم قوي وواسع([2]).

3. الحركة ذات المضمون:

لا ينبغي للمؤسسة التبليغية أن تحسب نفسها في الأعمال الصورية، ولا أن تكتفي بأطر تنظيمية شكلية، بل عليها أن تثري خطابها الحوزوي وتعزز تماسكه وتبعده عن التكرار، وتجسّر الصلة بينه وبين البيئة الاجتماعية التي يمتد فيها، فإن البناءات التنظيمية الشكلية لا تعدّ دليلاً على أن للحوزة خطاباً تبليغياً متماسكاً وفاعلاً:

(في تصوّر إن للنظم التبليغي خصائص معيّنة تمنحه الفاعلية، فإذا افتقر النظم للمضمون ولم يتعدّ كونه حركة صورية فإنه يفقد للفاعلية، فالنظم لا تترتب عليه فوائد حقيقية وأساسية إلا إذا اغتنت الحركة بمضمونها.

في الحركة الشكلية تشخّصون هوية المرسل والمنطقة التي سيرسل إليها وتاريخ الإرسال، وهكذا تحدّدون الناشر والكاتب، إنه عمل شكلي يتمثل في استخدام القوى المتوافرة بطريقة منظمة، وهذا هو النظم؛ وهو جيد جداً ومفيد، لكن لن يحصل لكم الاطمئنان والأمل بفاعلية حركتكم إلا إذا أغنيتكم النظم بالمضمون) ([3]).

4. تأهيل المبلّغ:

يجب على المؤسسة التبليغية في الحوزة أن تهتم بإعداد المبلّغ بصفته ضرورة من ضرورات برامجها الأساسية، فالتبليغ بات عملية معقدة تستدعي تأهيلاً خاصاً:

(ثمة عيب أساسي في التبليغ الحوزوي يتجلى في انفصال التبليغ عن الحوزة، بالطبع تضطر بعض الدوافع والحاجات عدداً من الحوزويين إلى التبليغ في فصل الصيف، أو في أيام شهري محرّم ورمضان، لكن الحوزة تفتقر إلى درس في التبليغ.

فالتبليغ عمل وفن وعلم فلا بد من تدريسه، فقد يعتزم أحدهم التصريح بأمر معين فإذا به يطلق تصريحات تتناقض وما عزم عليه، وكثيراً ما حدث أن امرءاً تحدث بأمور استنتج منها السامع نقيض ما كان يريد المتحدث من حديثه، أو على سبيل المثال يتوجه المرء إلى التبليغ دون أدنى معرفة له بعلم

النفس الإعلامي، فيخاطب الناس بغير لسانهم؛ حيث يتكلم في القرية بما كان يجب التكلم به في الجامعة، ويتناول في القرية مسائل جديرة بالتطرق إليها في العمل.

وبناء على هذا اعتبرنا الحوزة تفتقد لمنهجية علمية في التبليغ مثل علم النفس الاجتماعي([4]).

إن تحقيق ذلك يمكن أن يتم بـصور ثلاث:

أ . إقامة دورات قصيرة:

(يتعين على المؤسسة التبليغية في الحوزة إيجاد الاستعدادات الأولية والعامة للمبلغين عبر دورات قصيرة يطلعون خلالها على المسائل الضرورية في التبليغ.

إحدى المعاينات: معاونة التبليغ والطاقات البشرية، ويقتصر عمل هذه المعاونة على تأهيل المبلغ للعمل في داخل البلد وخارجه، وأيضاً تأمين مبلغين دائمين وموسميّين لمختلف مناطق البلد، وهذا يقتضي دورات قصيرة وصفوفاً خاصة([5]).

ب . تأسيس قسم خاص بالتبليغ:

(يجب على الحوزة طي طريق آخر إلى جوار الطريق الأول الأكثر عمومية، وذلك من خلال تأسيس قسم للتبليغ وتخصيص جزء من إمكانياتها له.

ومن شأن ذلك أن يفضي إلى تخريج متخصصين في المجال التبليغي قادرين على تحقيق الأهداف التبليغية المرجوة، خلافاً للوضع الحالي الذي يدفع بالعناصر الحوزوية الفاشلة إلى امتهان التبليغ).

ج . التقسيم للطلاب:

(التقسيم التدريجي للطلاب وفق الأهداف, فيتم اختيار خمسة آلاف شخص كمبلغين وخطباء وكتاب وعلماء، وثلاثة آلاف آخرين في خارج البلد)([6]).

5. الجدول الزمني:

بعد تحديد الأهداف والاتجاهات يتعين على المؤسسة التبليغية للحوزة أن تضع جدولاً زمنياً ترصد فيه الفترة المخصصة لتحقيق كل هدف.

وتترتب منافع مختلفة على الجدول الزمني المذكور، فهو من جهة يسرّع الحركة ويمنع التلكؤ والمماطلة، ومن جهة ثانية يشخص الفضاءات الزمنية لتفاصيل العمل ويتيح رؤية واضحة لمستقبله، علاوة على إيجاد الأرضية الملائمة لتقويم العمل ونقده:

(ليكون عملنا محكماً، لا بد من تقسيم الهدف وفق مراحل زمنية، بمعنى التخطيط للوصول إلى هدف معين خلال خمسة عشر عاماً مثلاً، وعليه ننجز كل عام من الأعوام الخمسة عشر جزءاً من العمل بما يتناسب مع ذلك الهدف).

في مثل هذه الحال نغدو قادرين على مراجعة أعمالنا في كل عام، لنرى أي الأعمال أنجزت وأيها لم ينجز، هل بلغنا المطلوب منا وجاوزناه أم لم نصله بعد؟)([7]).

6. تحديد الموضوعات التبليغية المهمة:

يجب على المؤسسة التبليغية في الحوزة أن تشخّص الموضوعات الزمانية المهمة من خلال الدراسة والاستقراء، وتضعها بين يدي المبلغين.

فمّا لا ريب فيه أن مساعي المبلّغ الفردية تظلّ عاجزة . مهما كانت واسعة وشاملة . عن إدراك الموضوعات الضرورية والفورية بكل أبعادها، وهنا يأتي دور المؤسسة التبليغية لتعالج هذا العجز:

(عندما كنّا نبذل مساعي حثيثة في صلب العمل التبليغي واجهتنا مسائل وقتذاك لا وجود لها راهناً، كان علينا أن نعي الاشتراكية العلمية والمادية التاريخية ثم نرد على تساؤلاتها، وهذا معلوم لانشغال أغلب شبابنا وجامعيينا وبعض التجار وغيرهم بتلك الأمور، لكن لا وجود حالياً لتلك المسائل، ففي الوقت الحاضر تطرح مسائل أخرى.

هل تريدون تجاهل هذه المسائل؟ هل ترغبون في حدوث فراغ في أذهان فتياتنا ونسائنا وأبنائنا ورجالنا، ثم يأتي العدو ليملأه بالشكل الذي يرتئيه؟

إن لم تكونوا راغبين في ذلك، فالجدير بكم أن تعرفوا ماهية هذا الفراغ، وهنا تتجلى ضرورة إيجاد أجهزة تفكر بهذا الأمر.

على العلماء أن يشكّلوا فريقاً يأخذ على عاتقه مسؤولية البحث عن الموضوعات المهمة ليقدّمها للمبلّغين، وهو ما تقوم به المسيحية هذه الأيام، فإذا أرادوا إرسال مبشّر إلى منطقة معينة من العالم ينعقد مجلس كنسي رفيع المستوى لدراسة الخطط والسبل اللازمة للنفوذ في أهالي تلك المنطقة، ثم يقدمون نتائج دراستهم للمبلّغ (8).

7. تقويم التبليغ:

(يتعين على المؤسسة التبليغية للحوزة أن تقوم برامجها التبليغية وفق منهجية علمية وإحصائية، وتطالع بدقة نقاط القوة والضعف التي تكتنفها.

وعلى المؤسسة التبليغية أن تقارن من خلال الإحصاءات والأرقام بين نتائجها في السنوات المختلفة، وتدرس العلاقة بين ذلك والموازنة المخصصة لكل عام.

إن هذه الأرقام التي أشار إليها أرقام جيدة، مع أنه لا يمكن معرفة مدلولاتها إذا ذكرت مجردة، فينبغي ذكر الإمكانيات والاحتياجات وأرقام السنوات الفائتة، ليصبح بالإمكان التوفر على معرفة دقيقة بمدلولاتها (9).

وإلى جانب النظرة الكمية هذه، هناك ضرورة لدراسة علمية إحصائية:

(والأرقام الأخرى التي يجب أخذها في الاعتبار هي الأرقام المتعلقة بمستوى التبليغ، فأعداد المبلّغين والكتب والصفوف تعكس أرقاماً كمية، وفوق هذه الأرقام نسأل عن مدى تقدمنا في التبليغ، وعن هدف التبليغ والمقدار الذي تحقق منه، وهذه الأسئلة هي المهمة) ([10]).

أما المسألة الأخرى فهي ضبط الأرقام وتقويمها، فيجدر بمسؤولي التبليغ اعتماد طرق موضوعية وسليمة لتقويم برامجهم:

(أرغب في إثارة مسألة معيّنة مع الشيخ التسخيري والسادة الآخرين، وهي أنني لاحظت عبر تجربتي أنه في بعض الأحيان يؤكد نحو مئة وخمسين أو مئتي شخص أنهم نشروا هذا المقدار من الكتاب، هنا لا ينبغي لكم أن تكتفوا بهذه الأرقام فقط بل عليكم أن تلاحظوا:

أولاً: هم تم انتقاؤها بشكل جيد؟

وثانياً: هل تتميز بجودة الطباعة؟

وثالثاً: هل ترجمت بدقة؟

ورابعاً: هل أرسلت في الوقت المناسب؟

وخامساً: هل وصلت إلى العنوان المطلوب؟

وسادساً: هل عمد الشخص إلى مطالعتها؟

فمن الضروري توضيح الإجابات عن هذه الأسئلة، ألا يمكننا إرسال الكتب إلى المكتبة ليتم تخزينها فيها، أو على إحدى السفارات أو الملحقيات الثقافية لتبقى هناك؟) ([11]).

[1] من خطاب ألقى في 1372/2/6 هـ.ش.

[2] من خطاب ألقى في 1361/4/1 هـ.ش.

[3] من خطاب ألقى في 1361/12/15 هـ.ش.

[4] من خطاب ألقى في 1370/11/30 هـ.ش.

[5] المصدر السابق.

[6] من خطاب ألقى في 1374/9/18 هـ.ش.

[7] من خطاب ألقى في 1372/7/1 هـ.ش.

[8] من خطاب ألقى في 1373/11/5 هـ.ش.

[9] من خطاب ألقى في 1373/2/6 هـ.ش.

[10] المصدر السابق.

[11] من خطاب ألقى في 1372/7/1 هـ.ش.

يجب على الحوزة أن لا تتجاهل التبليغ التقليدي . أي الخطابة والمنبر . بصفته موقعاً متميزاً وممتازاً في العملية التبليغية , فالحديث عن أدوات التبليغ الفاعل وطرقه لا يعني التنكّر لدور المنبر والخطابة أو تجاهله , لأن المنبر والخطابة يمثلان منهجاً مفيداً وفاعلاً يتطابق مع السنة والنمط التاريخي للتبليغ الحوزوي , من هنا يجب المحافظة عليه وتقويته وتطويره :

(يجب أن يظل "المنبر" محافظاً على صورته التقليدية والصحيحة. ولا نعني بالتقليدية أن تبقى جميع خصائصه مشابهة لخصائص المنبر في الماضي، فلا بد من تغيير الموضوعات، لكن ليبقى المنبر كما خبرناه جيداً خلال ألف عام أو على الأقل خلال القرون الثلاثة أو الأربعة الأخيرة)[1].

ولابدّ من القيام بدراسة تفصيلية للمؤسسة الخطابية والمنبرية في الحوزات الشيعية، فهذه المؤسسة دور مهم في الأصعدة الثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها، فالمبلغون والوعاظ يسجلون في مواسم التبليغ وغيرها حضوراً فاعلاً في جميع مناطق البلد، فيقيمون. من خلال الوعظ والخطابة. ارتباطاً وثيقاً مع الناس.

ولقد كان الوعظ والخطابة. وما زال. أهم وسيلة اتصال دينية في بلدنا، وقد حصل هذا التأثير الشامل والعميق ببركة الدم الطاهر لسيد الشهداء سلام الله عليه، فعظم المصاب أتاح للعالم الشيعي موقفاً متميزاً للتماس مع الجماهير؛ كونه يستطيع متى وأينما شاء أن يرتقي المنبر ويذكر الناس بمصيبة سيد الشهداء عليه السلام.

من هنا صار لعلماء الشيعة امتداد شعبي واسع وممتاز، فرجال الدين المسيحي لا تسنح لهم الفرصة لمقابلة الناس ووعظهم إلا في أيام الأحد وبعض الأيام الأخرى خلال السنة، وعلماء الدين السنّة لا يخطبون في الناس ويعظونهم إلا في صلاة الجمعة وفي بعض الأماكن الدينية الخاصة، في حين يظل باب الوعظ والخطاب مفتوحاً أمام العالم الشيعي في كل محلة وزقاق، وفي كل بيت ومسجد، وفي كل مدينة وقرية، وفي الليل والنهار.

ولهذه الحقيقة تأثيرات اجتماعية وثقافية لا يتسع مجالنا لتفصيلها، لكننا ألمحنا فقط إلى هذه الميزة التي أتيحت لعلماء الشيعة بفضل دماء سيد الشهداء:

(لم تجر حتى الآن دراسة تأثيرات المنبر في مجتمعنا، لاحظوا مجتمعنا وأمعنوا فيه النظر، هل تجدون مكاناً. سواءً في المدن الكبيرة والمناطق المكتظة بالسكان، أو في القرى النائية والصغيرة. ليس فيه

منبر باسم أبي عبد الله عليه السلام؟ فكل مجتمعنا بانتمائه الشيعي يعيش في كنف الإمام الحسين عليه السلام) [2].

وليس بإمكان أي وسيلة إعلامية أن تحلّ محلّ المنبر والخطابة بثناء محتواه وجمالية الصوت، والرقّة في أداء المصيبة والشعر المتجدد أبد الدهور، والمتدفق بزخم جرح الحسين عليه السلام.

كل هذه العوامل . وغيرها . تمنح المنبر خصوصية تزيد من دوره الثقافي والاجتماعي والسياسي على مرّ الأيام، من دون أن يكون ثمة مسوغ للخوف عليه من تطور وسائل الإعلام المعاصرة، وتعدد تقنياتها.

فالمنبر يشكل أداة توصيلية عظيمة التأثير في ممارسة التبليغ وسائر المهام الاجتماعية، وواحدة من أبرز مزاياه أن الخطيب ينهض بدوره من خلال الصوت الإنساني ويباشر الجمهور وجهاً لوجه، ولا يقتصر حضور الخطيب على إلقاء الخطب، بل يمتد إلى مشاركته في المحافل الدينية وتقديمه الإيضاحات على الاستفهامات الدينية والإشكاليات الأخلاقية، بل المسائل الاجتماعية والسياسية والأسرية أيضاً.

ولا تقل أحياناً هذه الوظيفة الجانبية للخطيب عن دوره الأساس فيما يترتب عليها من تأثيرات في الحياة الثقافية والاجتماعية للناس.

وما زالت الخطابة قناة رئيسة للتواصل بين العلماء والناس حيث يعيشون عبرهما آمال الناس وآلامهم، ويساعدونهم على حلّ مشاكلهم.

نخلص إلى التنبيه إلى عدم تجاهل وإغفال الوعظ والخطابة بصفتهما من الوسائل التبليغية المهمة، كما أن الأنماط التبليغية المستجدة . كما أشرنا في الموضوع المندرج تحت عنوان أسلوب التبليغ وأنماطه . لا تعني أن الطريقة التقليدية في التبليغ باتت بلا معنى وانعدم دورها.

فقد جاء في نص لسماحة الإمام الخامنئي عن أهمية الخطابة والمنبر ودورهما:

(صحيح . والله الحمد . أن الإذاعة والتلفزيون يثان خطابات عديدة للعلماء، سواء في العاصمة أو في المدن الأخرى، تحت عناوين مختلفة كصلاة الجمعة أو بعض المناسبات الأخرى، علاوة على الدروس والبحوث، إلا أن أياً منها لا يشكل بديلاً لحركة العالم التي يباشر من خلالها الناس وجهاً لوجه.

إن الناس على فئات متعددة موزعة في مختلف مناطق المدن والقرى، فينبغي أن يكون لكل فئة عدد كافٍ من العلماء يعيشون في أوساطها، ويسعون إلى حلّ مشكلاتها الدينية.

إذن وبالرغم من ضرورة أمور أخرى، إلا أنه لا شيء يكون بديلاً عن هذا الأمر؛ حتى الكتاب لا يمكنه ذلك، هذا هو الشيء الذي يمتلكه مجتمعنا الإيراني والديني، ونادراً ما نجد مثله في البلدان الأخرى، حتى في العراق مثلاً. إذا قلنا بأنه يحمل سمات المجتمع الشيعي . لم يكن الأمر بهذه الصورة.

فهذا يتعلّق بمجتمعنا حيث العلماء في مختلف المستويات، وفي المدن والمحلات والقرى المختلفة، وفي أوساط العشائر يباشرون الناس وجهاً لوجه، ويحدثونهم مباشرة ويتعاملون معهم ويستمعون لشكاويهم ويوضحون لهم الشبهات التي ترسم في أذهانهم، ويحلّون مشكلاتهم النفسية.

فيجب علينا تدعيم وترسيخ هذه الممارسات التي صدرت عن علمائنا في الماضي ولا نسمح بزوالها، وأحسب أنا نعاني من نقص في هذا الصعيد([3]).

[1] من خطاب أُلقي في 5/11/1375 هـ.ش.

[2] من خطاب أُلقي في 20/4/1371 هـ.ش.

[3] من خطاب أُلقي في 29/11/1371 هـ.ش.

تتوافر ظروف مناسبة للتواصل بين المبلغين والمجتمع، ونشر الثقافة الدينية في البلاد في أشهر رمضان ومحرم وصفر، فلا بدّ للمبلغين والمؤسسة العلمائية من السعي إلى تفعيل التبليغ في هذه الأيام، والحيلولة دون تهميش الممارسة التبليغية في هذه الأشهر المباركة.

وقد شدد سماحة الإمام الخامنئي منذ البداية على ضرورة المحافظة على هذه السنّة، منبهاً على نعمها على الدين والعلماء والثورة، وهو ما نقرأه في النص الآتي:

(في إحدى زياراتي لمشهد بعد انتصار الثورة دعوت الإخوة الأعضاء في لجنة "الثورة الإسلامية" إلى اجتماع حدّرتهم فيه . بصفتهم مسؤولين منشغلين بإدارة أمور الناس . من إغفال عمل كانوا يواظبون عليه دائماً، ففي شهور رمضان المبارك ومحرم وصفر كان طلاب العلوم الدينية يتوجهون إلى أنحاء البلاد كافة ليبلّغوا الناس نداء الثورة، ومنطق الحق والثقافة الإسلامية)[1].

لم تؤثر مواسم التبليغ في تفعيل الإرشاد الديني في المجتمع فحسب، بل قامت أيضاً بدور مهم وواضح في الحركات الاجتماعية . السياسية في القرون الأخيرة في بلادنا، فنلاحظ أن أيام التبليغ الخاصة مثلت ذروة الوقائع التي انطوت عليها النهضة منذ المشروطة وحتى الخامس عشر من خرداد، فقد عمد المبلغون في تلك الأيام التي تشهد تجمعات دينية إلى عرض نداء الحق وفضح الحكومات الجائرة، والإشادة بحكومة العدل.

ولا شك في أن الدراسة المتعمقة في النهضة التي انطلقت في القرن الأخير تنطوي على مسائل قيّمة ودروس بليغة ودلائل على أن لأشهر التبليغ النصيب الأوفر في تكوين النهضة وبسطها، وقد تجلّى هذا الدور التاريخي في نهضة الإمام رضوان الله تعالى عليه منذ بدايتها حتى الانتصار في الثاني والعشرين من شهر بهمن، أكثر من غيرها.

ويتابع سماحة الإمام الخامنئي كلامه في النص السابق بقوله:

(عندما أطلق الإمام تصريحاته في عامي (77 و1978) ودعا الناس إلى الثورة الشاملة، لم تبق مدينة ولا قرية في كل البلاد إلا ولّبت نداءه، وهنا يطرح السؤال: كيف استجابت لنداء الإمام القرى والمدن النائبة التي ربما لم يسمع بعضها آنذاك باسم الإمام، أو لم تكن لديها معلومات واضحة عنه، ومن ثم لا يمكنها إدراك نداءاته؟

إعلموا أن السر يكمن في وجودكم، فكل فرد منكم توجه وبكل تواضع إلى نقطة من نقاط البلاد أو قرية منها، لا يزيد أحياناً عدد أسرها عن الخمسين أو الستين، وعاش الناس على الطبيعة لمدة عشرة أيام أو عشرين يوماً أو شهراً، وتحدث إليهم مباشرة، فتهيات أذهان الناس في البلاد كافة ببركة هذه العمامة التي يلبسها الشباب المتواضعون القنوعون الذين يبلغون العلوم الإسلامية(2)].

بلغت الثورة أوجها في شهري رمضان ومحرم لعامي 77 و1978، فبسبب المواقف التحريضية للمبشرين في المساجد والحسينيات في المدن والقرى، وعملياتهم في فضج جرائم النظام وتوضيحاتهم ماهية الثورة الإلهية التي أطلقها الإمام رضوان الله تعالى عليه اشتد عود الثورة وأخضر زرعها حتى أتت أكلها.

لقد كانت الأجواء والأحوال تتغير في أيام التبليغ في شهر محرم وبخاصة يوم عاشوراء، فدماء الشهداء الطاهرة تضحّ طاقة تعبوية هائلة في النفوس حيث إن المنبر يمارس دوره في الفضح والتوعية والتثوير السياسي باستناده إلى الحسين عليه السلام إماماً عدلاً ورمزاً لمواجهة الظلم وعلامة وضّاءة على ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإصلاح الأمة.

من هنا فإن لعاشوراء دوراً عظيماً في عطف مسار الثورة نحو الانتصار، وإحياء الثقافة الشيعية في البلاد:

(على مدى قرون متمادية، وفي القرون الأخيرة بالتحديد، تبلورت حركة الإحياء الديني وتنامت ببركة الحسين بن علي عليهما السلام وقدرة مجالس العزاء، وقد توافر للثورة هذا الزخم العظيم الكامن في

قضية الحسين عليه السلام المقدسة، فامتد الفكر الثوري إلى كل مكان لينهض الجميع ويسجل حضوره في الساحة)([3].

فيجدر بالمبلغين أن يعرفوا قدر هذه النعمة الإلهية وينشروا ما تضمنه من مضامين لإرشاد المجتمع، إذ لا نجد في أي ديانة وشريعة أخرى ما يكتنزه المذهب الشيعي من محتوى للتبليغ الديني، فثمة ضرورة لبعث هذه النعمة الإلهية التي تنزلت علينا ببركة النهضة المقدسة لسيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام:

(إن نعمة مجالس العزاء ومحرم وعاشوراء لمجتمعنا الشيعي، هذه النعمة العظيمة وطدت الصلة بين القلوب منبع الإيمان الإسلامي المتدفق، وقادت إلى مواقف طوال التاريخ جعلت الحكام الطغاة يخشون عاشوراء وقبر الإمام الحسين عليه السلام.

وقد بدأ الخوف ينتاب الحكام منذ عصر الخلافة الأموية وما زال حتى يومنا هذا، وقد رأيت نموذجاً إبان ثورتنا، فكان النظام البهلوي الرجعي والكافر والفاسق فاقداً القدرة على الحركة، وهذا ما أكدته التقارير التي سجلت في عهد ذلك النظام البغيض، وفيها إشارات وتصريحات تبرهن على أن أجهزة النظام كانت تتخبط في مواجهتها للثورة أيام محرم.

وقد عرف جيداً إمامنا العظيم رضوان الله تعالى عليه . هذا الرجل الحكيم والواعي والعارف بالدين والدنيا والإنسان . كيف يحيي ويبعث واقعة "عاشوراء" لتحقيق أهداف الإمام الحسين عليه السلام، فقد اعتبر شهر محرم الشهر الذي انتصر فيه الدم على السيف، أنطلق في نهضته من هذه الحقيقة، وهذا نموذج واحد عاينتموه بأنفسكم، فيجب إحياء هذه الذكرى من قبل الناس والعلماء)([4].

لا يجوز تضييع هذه النعمة والاكتفاء بإحيائها كسنة فقط، فأيام المصيبة تتيح فرصة نادرة وثرينة جداً لرفد المجتمع بالوعي الفكري والديني والاجتماعي.. فرصة لا نجد في أي مذهب أو دين آخر أنها أتاحت لمبليغيه، فينبغي أن نعرف قدرها ونخطط ببصيرة لإحيائها وتفعيلها.

فعلى المؤسسة التبليغية للحوزة أن تستعد جيداً لهذه الأيام الخاصة فتجهّز المبلغين بالمعلومات اللازمة وتمدّهم بالإمكانات التي من شأنها تنشيط دورهم عندما توفدهم إلى عمق المجتمع وقلبه، فينهضوا إلى مستوى احتياجاته واستفهاماته الدينية، ثم يحفظوا إيمانه ويحرسوه.

لكن مما يؤسف له أننا لم نشاهد حتى الآن مبادرة مناسبة في هذا الصعيد، فما برح التبليغ الديني . كما في الأيام السالفة . في مواسم التبليغ خاضعاً للمزاج الشخصي والمواقف الفردية. ومن جهته لا يحصل المبلّغ على دعم معنوي من جانب الجهات التبليغية، فهو في تماسه مع الجماهير وعندما يتحدث عن الدين والأخلاق والمعارف ويسعى إلى إرشادهم لا يعتمد إلا على تصورات الشخصية التي تمكنه من مطابقة خطابه مع الاحتياجات القائمة، دون أي دعم في هذا المضمار:

(لتشكل اجتماعات مدروسة في أحد هذين الشهرين محرم وصفر، ففي الأقل من المناسب عقد جلسات قبل دخول شهر محرم للتخطيط للموضوعات الضرورية المفترض طرحها في شهري محرم وصفر بلحاظ الظروف الزمانية والأحداث والمشكلات القائمة، بعد ذلك ترفع إلى الأمانة العامة أو الجهة العليا، لتبلّغ بدورها الجميع بأن الأولوية في العشرة الأولى . مثلاً . من محرم لهذا العام للموضوع الفلاني)([5]).

من الخطوات التي يمكن اتخاذها في هذا الاتجاه، إقامة ندوات جادة قبل أيام التبليغ على أن يشارك فيها ذو الخبرة والتجربة في المسائل الاجتماعية والتبليغية لتحديد الموضوعات المهمة ومصادرها أيضاً، وبهذا تتوافر للمبلغ روافد موضوعات مواكبة للظروف الزمانية والمكانية، فتغدو حركته في الآفاق المفتوحة وفي مستوى المجتمع المخاطب:

(لنفرض أن شهر محرم على الأبواب، تتطوع مجموعة من الأخوة الأفاضل لعقد ندوة، شكّلوا بعد تأمل عدة لجان، ولتكن نتيجة الندوة ما تراه هذه المجموعة، فعلى سبيل المثال تقرر ضرورة طرح الموضوعات الخمسة عشر أو العشرين المعينة التي تنطوي على إجابات عن استفهامات الناس، بعدها تتناقش مجموعة أخرى بشأن تلك الموضوعات وتدرسها بدقّة، وإذا تم هذا العمل، فأحسب أنه سيؤسس لحركة منسجمة)([6]).

([1]) من خطاب القى في 1367/6/10 هـ.ش.

([2]) من خطاب القى في 1373/11/5 هـ.ش.

([3]) من خطاب القى في 1370/4/20 هـ.ش.

([4]) من خطاب القى في 1372/3/17 هـ.ش.

([5]) من خطاب القى في 1364/6/21 هـ.ش.

([6]) من خطاب القى في 1364/2/4 هـ.ش.

(لا ينبغي تحشيد الخرافات في التبليغ الديني وتشويه الحق بالأباطيل، وحذار من أن ينقل إلى الناس الأساطير والأقوال المشكوك فيها والروايات غير المسندة، بدلاً من الدين الحق.

فالمبلغ لا يحط من قدر خطابه ومكانته بتضمينه الأساطير فحسب، بل يسيء إلى الدين فيقدم صورة مزيفة ومشوّهة لدين الحكمة والمنطق، ويهين أرضية خصبة للتشكيك في الحقائق الأساسية للدين وإساءة الظن بها.

على المبلغ أن لا يعتبر متانة كلامه تكمن في عرض العجائب والغرائب، فحتى لو فرضنا أن هذا النحو من الكلام يجتذب أنظار وأسماع العقلاء اليوم، لكن من المؤكد أنه لن يجتذب قلوبهم أبداً:

ليس من الصحيح أن يرتقي أحدهم أعواد المنبر ليتفوه بكلمات خاوية، ويتطرق إلى موضوعات تافهة لا تقوي الإيمان بل تضعفه، وأقول لكم بكل أسف: إن هذه الحالات تقع أحياناً، وهذا يحول دون بلوغنا الأهداف والمنافع المتوخاة من عقد هذه الجلسات، فيلاحظ في بعض الأحيان أن الخطيب

ينقل في أحد المجالس موضوعاً ليس له أساس عقلي أو نقلي من الصحة، ويفضي في الوقت ذاته إلى تشويه وعي المستمع المستبصر وصاحب المنطق والاستدلال.

استمع أحدهم إلى حديث ما، ثم صدق المستمع وكتبه في كتاب وقد وضع على الرف، ترى ما الذي يدفني وإياكم لطرح هذا الموضوع الذي لا يمكن التدليل عليه في حشد كبير يضم أفراداً واعين ومتبصرين؟ فهل على المرء أن يتحدث بأي شيء من أي كتاب نقله؟

يجب أن يزيل كلامه الشبهة لا أن يكرّسها، فبعضهم يعتلي المنبر دون الالتفات إلى هذه المسؤولية الخطيرة، ليضاعف الإبهامات والتساؤلات المستقرة في الأذهان لا ليمحوها([1]).

وتترسخ أهمية ذلك في مآتم أهل البيت عليهم السلام، فلا ينبغي للخطيب والواعظ أن يظن أن استدراج دموع الحاضرين واستصراخهم هو الهدف الأساس الذي ينبغي بلوغه بأي ثمن، فليعلما أن الحقيقة أغلى من كل شيء، وليتفاديا الدفاع عنها عبر الأكاذيب ونسج الأساطير بذريعة أنهم يستهدفون ذكر سيد الشهداء عليهم السلام ومصابئه:

(فلتعرض واقعة عاشوراء ـ التي تعدّ أمّ المعارف في باب الجهاد والقتال في سبيل الله، والركيزة الأساس لثورتنا ـ بصورتها المشرقة والوضاءة، وبحقائقها الناصعة مع تحاشي أي إضافة لا أساس لها من الواقع قد تصدر أحياناً بشكل خطابة أو كتابة، فذكرى عاشوراء ليست هزلاً، ولا ينبغي ضمّ الخرافات إلى هذه القضايا العظيمة، وبعد ذلك ننتظر أن نترك أثراً إيجابياً)([2]).

(ومما يحزّ في النفس أن عاشوراء لم تختلط في محافلنا وكتاباتها بالخرافات والأكاذيب فحسب، بل أضيفت إليها افتراءات لا تنسجم مع روحها، فقد نظمت القصائد الشعرية وكتبت القطع النثرية ونسجت القصص التي لا تتناسب مع قيم نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وهو ما يشوّه وعي المخاطبين للفضائل والمكارم الإنسانية العظيمة مثل الشجاعة وشدة البأس والإيثار ورفض الظلم وأداء التكليف و...).

فالمسألة الأولى هي تنقية الواقعة مع الافتراءات المضرة... حتى ما جاء في بعض الكتب ويتناقض مع مفهوم النهضة الحسينية ومعناها، فيجب تشخيص كل هذا وعزله، وعليه فالمسألة الأولى تتمثل في تصفية الواقعة التي نعرضها ممزوجة بالشعر أو النثر أو بطريقة التعزية، وهذا عمل سليم.

إذا كان بياننا لعاشوراء بما يتناقض ومفهوم "ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة"، فإن هذا الفعل لن يخدم القضية الحسينية وواقعة عاشوراء([3]).

يجب على المبلغ تهذيب أقواله وخطاباته من الخرافة والتحريف، وعليه أيضاً أن يعاين ممارسات المآتم بدقة، فلا يبادر إلى أفعال تتنافى وشؤون المروءة والديانة أو المصلحة الاجتماعية ولا يحث الآخرين عليها، وفوق ذلك عليه أن يمنع القيام بأي ممارسة سلبية.

يجب أن تكون مجالس العزاء الحسيني مركبة من العاطفة والحماسة والمعرفة، ولا بدّ أن يكون عرض الأبعاد العاطفية والحماسية لهذه المصيبة قادراً على كسب تعاطف الأجنبي الذي لم يسمع بالواقعة من قبل، فيرقّ قلبه وتحزن نفسه.

وقد أضرت بعض الممارسات غير العقلانية بصورة التشيع، وبدلاً من أن تجتذب القلوب نحو الشعائر الحسينية نفرتها منها، وينبغي للواعظ والخطيب وكل المشاركين في مراسم العزاء أن يلتفتوا إلى أن أنظار الملايين من الأجانب والمواطنين متوجهة إليهم، فالتشيع لا يتمثل بأقلية دينية مغمورة لا يهتم بها أحد، فقد أضحت القيم والشعائر الشيعية في إيران الإسلامية أمام الرأي العام كافّة، من هنا فإن أي ممارسة خاطئة من شأنها أن تشوّه صورة التشيع وعاشوراء في أذهان الرأي العام العالمي.

على العالم والخطيب والواعظ الانتباه إلى أن المسألة لا تتمثل اليوم في ماهية الاستدلالات الفقهية المتصلة بالتطهير. مثلاً. لتدخل المسألة في مدارات النقاش، ثم تحشيد الأدلة التي تجيز هذه الممارسة أو تحرمها أو التي تعدّها إضراراً بالنفس أو تنفي ضررها، وهكذا.

إن هذه البحوث الفقهية التقليدية يجب أن تجري في المدرسة، لكن الكلام في الظروف الراهنة يتركز على مصلحة التشيع والمجتمع الشيعي الثوري، ترى ما هي الصورة التي تنطبع للتطير . وإن حدث في مآثم سيد الشهداء عليه السلام . في أذهان الأجانب؟ هل سيتعاطفون مع التشيع المظلوم وعاشوراء المظلومة، أم سيبتعدون عنهما؟

وقد أشار سماحة الإمام الخامنئي في خطاب تحذيريّ إلى الانطباعات وردود الفعل السلبية التي تولدها الممارسات المنافية لشؤون مجالس العزاء بقوله:

(إن دعوة الإمام رضوان الله عليه إلى إقامة مجالس العزاء تعني الجلوس فيها وقراءة التعزية والبكاء ولطم الرأس والصدر والمشاركة في المسيرات، وهي الأمور التي تغزّز التعاطف مع أهل بيت الرسول (ص)، وهي أمور ممتازة.

وثمة أفعال مؤداها إبعاد الناس عن الدين، وأحس بالأسف لرواج بعض الأفعال في مجتمعنا خلال السنوات الأربع الأخيرة، يقومون بأعمال تثير استفهامات وتشكيكات عند كل من يراها، ففي الماضي البعيد كانت فئة من عوام الناس تضع في أبدانها "قفلًا" في أيام العزاء، وفي حينها استنكر العلماء والأفاضل ذلك العمل حتى اضمحل، لكنه عاد هذه الأيام، والتطير كذلك، إنه عمل خاطئ، تعتمد مجموعة من الأشخاص إلى ضرب رؤوسها بالسيوف فتجري دماؤهم، ترى ما هو الهدف؟ وأين هو العزاء في هذا العمل؟

وفي الآونة الأخيرة ظهرت بدعة عجيبة غريبة في الزيارات، فهل سمعتم أن أحد علمائنا أو أحد أئمتنا عليهم السلام كان يزحف على الأرض من بداية الصحن حتى القبر؟

هناك عدد من الأفراد عندما يصلون الصحن الطاهر لعلي بن موسى الرضا عليه الصلاة والسلام يزحفون زهاء مئتي متر باتجاه القبر، فهل هذا عمل صحيح؟

كلا، إنه عمل خاطئ وفيه إهانة للدين والزيارة، من الذي روج هذه الممارسات بين الناس؟ لعله من عمل الأعداء.

نوروا أذهان الناس بهذه الأفكار، فالإسلام دين المنطق، والتفسير الشيعي للإسلام هو الأكثر منطقاً من غيره، فعلماء الكلام الشيعة كان كل واحد منهم كالشمس في زمانه، فهل هذا هو التشيع، أم تلك الأمور التي ليس فقط تفتقد للاستدلال بل هي أشبه شيء بالخرافة؟

لماذا أدخلوا هذه الأمور في الدين؟ إنه خطر عظيم يتهدد عالم الدين والمعارف الدينية، فعلى حراس العقيدة أن يأخذوا حذرهم) ([4]).

[1] من خطاب القى في 1373/3/17 هـ.ش.

[2] من خطاب القى في 1370/3/20 هـ.ش.

[3] من خطاب القى في 1368/5/11 هـ.ش.

[4] من خطاب القى في 1373/3/17 هـ.ش.

تشتد الاحتياجات التبليغية في داخل البلد وخارجه، ويزدحم المشتاقون للخطاب الديني على أبواب الحوزة مطالبين بالمبلغين، وللأسف لا تجد هذه الطلبات استجابة في أغلب الأحيان.

وليس خافياً حجم الأضرار التي يتركها فراغ الساحة . أينما كانت . من المبلغين، فيما تظل دون جواب الاستفهامات حول أبسط الأحكام الدينية وتلك المعقدة المرتبطة بالمعضلات الفكرية، الأمر الذي يسوق المجتمع الديني . في داخل البلد أو خارجه . إلى الحيرة والفوضى :

(يأتون من مختلف البلدان يطلبون مبلغين، لكننا نفتقر إلى المبلغين، ويأتون من المدن الإيرانية يطلبون بمبلغين، لكن ليس لدينا مبلغ، يريدون إماماً للجمعة، فلا نستطيع تأمين ذلك رغم وجود الحوزة العظيمة، هناك مناطق تبقى أحياناً ستة أشهر أو سنة من دون إمام جمعة! ترى هل طالبتهم بالذهاب إلى غابات الأمازون للتبليغ؟

السادة يمتنعون عن الذهاب، وإذا سألناهم عن السبب أجابوا بأنهم يريدون مواصلة دراستهم! إخوتي؛ لست راضياً عن هذا الملف، قولوا ما شئتم، أقسم بالله إنني لا أعتبر هذا الموقف دينياً(1).

على طلبة الحوزة أن يدركوا مكانة التبليغ وإرشاد الخلق فلا يقللوا من شأنهما، وأن يعتبروا حضورهم في الحوزة وارتداء الزي العلمائي هو من أجل التبليغ، فليبادروا إلى الحضور في الأماكن التي تعاني من نقص في المبلغين:

(لا يصح القول: إن الشخص الفلاني درس "المكاسب" و"الكفاية" وصار فاضلاً، فمن غير المناسب أن يذهب للتبليغ في أوساط العشائر؟ ترى لماذا أتعب نفسه ودرس "الكفاية" و"المكاسب"؟ إن جميع هذه الدروس مقدمة لاجتذاب الناس للإسلام وحثهم على الالتزام بالدين ف"لئن يهدي الله رجلاً خيراً مما طلعت عليه الشمس)(2).

ولا ينبغي لأساتذة الحوزة اتخاذ التدريس ذريعة لترك التبليغ:

(لعل مصداق الهجرة لطلاب العلوم الدينية والأفاضل المستقرين في الحوزات، يتمثل في الهجرة إلى مناطق العالم الإسلامي للتبليغ فيها. وبوسع بعض الطلاب الإقامة في مدينة وإرشاد أهلها، إذ لا تترتب فائدة على البقاء في قم بالنسبة للمئات من الطلاب، سوى أنهم يلقون بعض الدروس على عشرين أو ثلاثين طالباً، وهو ما يقوم به غيرهم)(3).

ويكشف تاريخ الحوزات عن كون الهجرة من أجل التبليغ أو الدرس التي قام بها كثير من عظماء الحوزة الماضين، أفضلت على تحولات اجتماعية عظيمة وواسعة، فهجرتهم أنشأت قواعد مهمة للفكر الشيعي وعززت مكانة المجتمعات الشيعية القائمة.

وربما نستطيع القول إن تكوّن المجتمعات الشيعية في إيران والعراق ولبنان وبقية المناطق الأخرى مدينٌ لهجرات علماء الدين:

(على مسؤولي الحوزة العلمية وأكابرها وأعيانها أن يكونوا البادئين في سلوك هذا الطريق. وأحياناً تترتب على وجود بعض العلماء الكبار في مدن أخرى منفعة أكبر بكثير من تلك الحاصلة من بقائهم في مدينة قم.

وثمة شواهد من الواقع على ذلك، فمثلاً هاجر المرحوم آية الله الميلاني رضوان الله تعالى عليه من كربلاء . وهي قريبة من النجف وكان أمثاله يقيمون في كربلاء والنجف . إلى مشهد ليؤسس فيها حوزة علمية كبيرة، وحقاً كان وجود المرحوم آية الله الميلاني بركة إلهية لحوزة مشهد، وكان بمقدوره أن يظل في كربلاء إلى نهاية عمره، لكنه جاء إلى مشهد وكان منشأً للبركة فيها) ([4]).

وتنسحب هذه الحقيقة على مستوى الباحثين في الحوزة، إذ تساعد هجرتهم إلى المناطق (التي تحتاج إليهم) وإقامتهم المؤقتة فيها، على تلبية قسط من الحاجة إلى التبليغ، والإقامة في منطقة ما عدة شهور أو حتى عدة سنوات لا تضرّ بالدراسة، كما يمكن تكثيف الجهد الدراسي للتعويض عما فات، فالدراسة ليست مسوغاً إذن لترك التبليغ:

(ليس هناك ما يمنع الطالب الشاب على ترك الحوزة والدرس لمدة سنة للتبليغ في منطقة معينة ثم يعود إلى الحوزة ليحل محله فرد آخر، وهذا لا يسفر عن خسارة دراسية للطالب، فسنة واحدة لا تضر بالطالب الذي أنهى المقدمات وتقدّم نسبياً في الفقه والأصول والمسائل الاستدلالية) ([5]).

فلا ينبغي تعطيل الهجرة التبليغية بذريعة شحّة الإمكانيات وضآلتها في المنطقة، وبفرض شروط صعبة مسبقّة كتوفير السيارة الفارهة والوسائل الترفيهية، فالهجرة التبليغية كالجهاد، تستدعي تحمل المشاقّ ومصاعب الغربة والإعراض عن الوطن وشرح الصدر لحلّ عشرات المشكلات العائلية وغيرها:

(هناك قرى في بلادنا تفتقر لعالم الدين، فعلى علماء الدين أن يتوجهوا إليها دون أي شروط مسبقّة، بعضهم يقول لنا: يجب توفير كذا إمكانيات وكذا امتيازات كيما نذهب، أنا لا أنفي الحاجة للأمور المادية والظروف الحياتية المناسبة، لكن لا يجب فرض ذلك كشروط مسبقّة، فلينطلقوا ويعقدوا العزم)[6].

على الحوزات الشيعية معاينة تجربة التبشير المسيحي نحو مناطق العالم كافّة سواء كانت صحارى أفريقيا القاحلة والمحرقة، أو غاباتها التي تقطنها قبائل متوحشة، أو المناطق القطبية المتجمدة، فتاريخ التبشير المسيحي مليء بالعبر والدروس.

ولما كانت الحوزات الشيعية أقرب إلى شمس الحقيقة . من غيرها . فهي مدعوة لبذل مجهودات أضخم من الآخرين في سبيل إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

(أكرر للسادة العلماء الإشارة إلى أننا نعرف قساوسة أعرضوا عن مدنهم الراقية وحياتهم المرفهة في أوروبا، وقطعوا آلاف الكيلومترات ليلبّغوا المسيحية في أمريكا اللاتينية أو أفريقيا أو غابات الأمازون أو غينيا، وقد أمضوا سنوات من عمرهم هناك، وقد وصلوا في عهد الاستعمار إلى مناطق لم تطأها أقدام المستعمرين)[7].

[1] من خطاب القي في 1370/11/20 هـ.ش.

[2] من خطاب القي في 1371/7/15 هـ.ش.

([3]) من خطاب القي في 1373/6/21هـ.ش.

([4]) المصدر السابق.

([5]) من خطاب القي في 1373/11/5هـ.ش.

([6]) من خطاب القي في 1370/4/20هـ.ش.

([7]) من خطاب القي في 1371/7/15هـ.ش.

قادت الأزمات الأخلاقية والمعنوية التي شهدتها العالم وظهور الثورة الإسلامية إلى توجه جديد نحو الدين الإسلامي، فالأذهان المضطربة التي أرهقتها مادية الحضارة الغربية استفاقت اليوم بالنظر إلى الإسلام بوصفه منهجاً لديه ما يعالج به أزمات البشر.

ومن هنا اشتدت الحاجة إلى مبلغين عارفين بالدين يتوجهون على مختلف مجتمعات العالم، وإذا لم تتم المبادرة الحازمة لإرواء النفوس المتعطشة للإسلام الأصيل فإن أولياء الشياطين سيبادرون حتماً لتضليل تلك النفوس، ثم إروائها بشكل كاذب:

(الإسلام مطروح اليوم بصفته منهجاً للحياة يقدم إجابات على إشكالات الحياة، وطريقاً للتحرر من مشكلات عالم القرنين الجاري والمقبل، هكذا ينظرون إلى الإسلام، ولذلك يعتنقونه.

فالإسلام اليوم ينتشر بسرعة في الدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة والدول الأوروبية الكبرى، وليس هذا زعم خطيب سمع شيئاً وصعد ليتحدث به، لدي أرقام دقيقة، فكثير من الأفراد في البلدان المسيحية الغربية ممن اعتنقوا الإسلام، لديهم أسئلة، ويريدون معرفة الإسلام ويريدون أن يستمعوا شيئاً عن الإسلام.

يريدون أن يتعرفوا على حقيقة الإسلام الذي استطاع تشكيل حكومة ووقف بوجه القوى الكبرى، ولم يخش أحداً وباستطاعته أن يدير العالم، وهو يسجل حضوراً في صميم الحياة الإنسانية وقبلها، ولا يعاني مما تعاني الدول الأخرى من ضعف.

يريدون معرفة هذا الدين، فعلى عاتق من تقع مسؤولية توضيح هذه الحقائق؟ هل نجلس ليفعل الأميون ذلك؟ هل نقعد فيما يتوجه إليهم من لا يعرف شيئاً عن الإسلام؟ هل نقعد، ليذهب إليهم من كَوّن معرفته عن الإسلام بما سمعه من هذا وذاك؟ ([1]).

فيما يتعلق بالتبليغ في خارج البلد من الضروري مراعاة المسائل العامة التي ذكرناها، علاوة على المسائل الخاصة التي نشير فيما يأتي إلى بعضها:

1. معرفة لغة البلد الأجنبي وثقافته:

يتعين على المبلغ في بلد أجنبي أن تكون لديه إحاطة كاملة بلغة سكانه، ومعرفة عميقة بثقافتهم، ليصار إلى سهولة التواصل مع أفراد بيئته وإلى مواكبة الرؤى والأفكار والأنماط الثقافية للمجتمع، ثم يصوغ خطابه عبر الحوار أو النشر أو...

وكثيراً ما كان للتبليغ المجرد عن المعرفة بثقافة المجتمع المخاطب مردودات سلبية طالت الممارسة التبليغية ذاتها، فمثلاً يفضي تجاهل مكانة مصطلح ما في ثقافة المخاطب إلى انصرافه عن سماع مجمل الخطاب، وربما إلى اتخاذ رد فعل سلبي حيال أي تبليغ مماثل، كما أن التشديد على موضوع معين أو تجاهل قيمة ثقافية، يسوق أحياناً المستمعين أو القراء إلى التشكيك في أصالة الخطاب وحقانيته، أو إلى الإعراض عنه جملة وتفصيلاً.

على أي حال، كانت هناك نماذج عديدة وقعت فيها المؤسسة التبليغية في خارج البلد، ولتفادي ذلك لا بد أن يكون المبلغ متحلياً بالخصائص العامة للمبلغ الفاعل، إضافة إلى الإحاطة الكاملة بلغة المجتمع المخاطب وثقافته، وليتحاش التدرّب على ممارسة التبليغ في وسط المجتمع، فالصحيح ان

يحترف التبليغ قبل أن يتماس مع المجتمع, وإلاّ فهو كمن لا يجيد السباحة ومع ذلك يحاول أن يسبح في محيط مّواج، وهذا غارق لا محالة هو ومن تشبث به.

وللأسف نلاحظ مصاديق عديدة لهذه الأخطاء، الأمر الذي يشكل خطراً جدياً على المؤسسة التبليغية في خارج البلد، كون الاتصال الأول مسؤول بالدرجة الأولى عن صياغة وعي المجتمع المخاطب.

وليكن معلوماً أن تجسير العلاقة مع شعوب العالم يجب أن لا يخضع لمنهجية التجربة والخطأ, فغالباً ما تؤدي هذه المنهجية إلى رسم صورة مزيفة وسيئة للمبلّغ الشيعي في الأذهان، تصعب إزالته بسرعة حيث تبقى أمداً طويلاً في الذهن, لتحول دون التفاعل حتى مع المبلغين الممتازين:

(يجب توافر أفراد مستعدين لهذا العمل؛ أي من الذي أنهموا دراستهم وشاركوا في دورة تأهيلية, واطلعوا على طباع الأجانب وسلوكياتهم وأتقنوا لغتهم، فيما يتواصلوا معهم وينهضوا إلى مستوى البيئة التي يخاطبونها)([2]).

2. المثابرة وتحمل المشاق:

ليس التبليغ في خارج البلد ترفيهاً أو سياحة لتمضية أوقات الفراغ، بل هو ممارسة شاقّة لا تنهض بها سوى النفوس الصابرة والهمم العالية، ولا مجال فيه لحب الدعة والراحة والترف.

ولا يتيسر للمبلغ نشر الفكر الديني إلاّ بعد الهمة والحركة الجادة. فبالمثابرة وقوة العزة وصل المبشرون المسيحيون إلى غاياتهم. وقبلهم نشر المبلغون المسلمون، الإسلام في الهند وجنوب شرقي آسيا وأفريقيا وغيرها بالمثابرة والعمل الدؤوب.

ولكي يكون للفكر الديني . الشيعي حضور ملموس حالي، لابدّ من نفوس كبيرة لا تخشى الصعاب ولا تؤثر فيها النكبات، وتحلو في عينها مرارة الغربة، ولا تتوانى أبداً في الدعوة إلى الإسلام ونشره ولو كلفها ذلك دموعاً ودماءً:

(ترسم في أذهان بعضهم صورة متألثة للتبليغ في الخارج، فيتوهمون أن من يرسل للتبليغ في الخارج، يقيم في لندن أو باريس وفي عمارة راقية مع أناس مترفين.

اقرأوا سيرة بعض المبلغين المسيحيين الذين بذلوا مجهودات ضخمة وذهبوا إلى أعماق غابات أفريقيا وأمريكا، بالطبع كان هدفهم استعمارياً وليس إلهياً واقعياً، وقبلهم نشر المبلغون المسلمون في أقاصي آسيا: الهند وشبه القارة الهندية التي تضم بنغلادش والهند وباكستان واندونيسيا وماليزيا والصين وتركستان الشرقية، هكذا انتشر الإسلام في أغلب هذه المناطق؛ إذ هاجر إليها بعض أولياء الله والعرفاء وأقاموا سنوات متמادية تحملوا خلالها مختلف ألوان الصعاب، حتى استشهد بعضهم ومات بعض آخر جوعاً) [3].

3. المراقبة المشددة:

على المبلغ أن يحاسب نفسه أينما كان، فيقارن بين أقواله وأفعاله بدقّة عالية، وبكلمة أخرى تكون منسجماً مع كونه مبلغاً للدين.

وهذا أصل عام، تشتد أهميته في حال كون المبلغ في الخارج، فهو من جهة يمثل سفير الدين في البلد الأجنبي، وهذا يعزز التزاماته، فإذا ارتكب المبلغ في داخل البلد خطأ أو ذنباً. وإن كان كبيراً. فإنه يتوارى خلف أخلاقيات وسلوكيات العلماء الصالحين. وهؤلاء ليسوا قلة. الأمر الذي يمنع سوء الظن بالدين.

لكن الحال يختلف في البلد الأجنبي حيث تتوجه أنظار المخاطبين إلى المبلغ فقط، فتكون جميع أعماله برسم الديانة والعلماء كافة، ومن ثم فإن خطأه أو ذنبه يعد دليلاً كافياً على سلب الدين حقانيته.

وبناء على هذا فإن ذنب المبلغ في البلد الأجنبي أوسع إضراراً، وهو يغلق الباب بوجه المبلغين الصالحين والكفوئين.

ومن جهة ثانية، يشكل بعد المسافة بين البلد الأجنبي ومركز الإسلام والولاية، خطراً على الضعفاء الذين تزداد معدلات ارتكابهم للذنوب والمعاصي كلما ابتعدوا عن المركز، فلا بدّ للمبلغ أن يتصف بالحلم وسعة الصدر، وعليه أن يكتفّ مراقبته لنفسه وسلوكه الأخلاقي، ليصون نفسه من المزالق:

(إن بعد المسافة الذي يفصلكم عن البلد ومركز الثورة، مدعاة لتشديد التزكية الذاتية، ومع أنكم من أهل العلم والأخلاق والفضل والدين، لكن المرء عندما يبتعد عن مركز الإسلام والدين والشعائر الإسلامية، يحتاج على تكثيف مراقبته لنفسه والاهتمام بها. فمثلاً إذا كنتم هنا تكتفون بمقدار معين من الذكر والدعاء والنوافل وصلاة الليل و.... فعليكم مضاعفته هناك ليكون بوسعكم المحافظة على أنفسكم)([4]).

([1]) من خطاب القي في 14/6/1374هـ.ش.

([2]) من خطاب القي في 29/6/1371هـ.ش.

([3]) من خطاب القي في 10/6/1367هـ.ش.

([4]) من خطاب القي في 17/2/1371هـ.ش.